القول الشافي
في فضائل القرآن
و آثاره من خلال الحديث الوافي

إعداد الدكتوره
سحر محمد محمد عزت حسين
أستاذ مساعد الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي شرف أمة الإسلام بنزول القرآن على محمد بن عبد الله خير الأنام ، و الحمد و المنة له سبحانه و تعالى ، شرح صدور أهل الإسلام بالهدى و بَيَّن لهم سبيل النجاة باتباعهم كتابه العزيز ، الذي حفظه من التغيير والتبديل حيث قال سبحانه و تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون ﴾ .

و أشهد أن محمداً ﷺ عبده و رسوله ، و صفيه و خليله ، حفظ الأمانة ، وأدى الرسالة ، فأقام بها الملة العوجاء ، و فتح بها أعينا عميا ، و آذاناً صما ، وقلوباً غلفا ، و هدى به لأوضح السبل ، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن، مبلغا لهم عن الله تعالى ، ما أوحي إليه من الكتاب العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

فالقرآن هو حبل الله المتين و النور المبين و الشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، و نجاة لمن اتبعه .

وقد اختلف العلماء في معناه :

فمنهم من قال : هو اسم غير مشتق من شيء ، بل هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى .

ومنهم من قال : أنه مشتق من القَرْى ، و هو الجمع لأنه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة .

وذهب آخرون : إلى أنه مشتق من قَرَنْتُ الشيء بالشيء[1] إذا ضممته إليه فسمي بذلك لقران السور و الآيات و الحروف فيه.

القرآن الكريم ، هو دستور الخالق لإصلاح الخلق ، و رسالة السماء إلى الأرض و قانونها ، وهو حجة الرسول الأمين ﷺ ، و آيته الكبرى الناطقة برسالته و نبوته و دليلاً على صدقه و أمانته . و هو المعجزة العظمى الباقية

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٧٧ – ٢٧٨ بتصرف و اختصار .

المتجددة على مر العصور والأجيال و إلى أن تقوم الساعة ، شاهدة على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ و قد مَنَّ الله علي ، و قَدَّرَ لي الخير ، فمنذ نعومة أظفاري ، و أنا أتناول آيات هذا الكتاب العظيم بالحفظ ، و كلما حفظت جزءً ازداد حبي له ، حتى ملَك عَلَيَّ كياني و امتزج بدمي ، و ملَك عَلَيَّ كل مشاعري فكنت أشعر مع آياته بالأمن و الاطمئنان في مواجهة مشكلات الحياة ، و أستمد منه القوة و العون و السكن و الفرج العظيم من كل ضيق ، و قد لمست من بركاته ما جعلني أزداد إيمانا أنه هدية السماء لأهل الأرض ، و أنه سفينة النجاة في الدنيا و الآخرة ، فقد نجوت بفضله من مهالك عظيمة في الدنيا ، مما أكد و ثبت هذا المعنى لديَّ و رسخ إيماني به ، إيمانا لا يتزعزع طرفة عين .

و إذا كان هو النجاة في الدنيا ، فهو كذلك في الآخرة و الآخرة خير و أبقى . لذلك أحببت أن أقدم هذا البحث خدمةً لقرآننا العظيم موضحة من خلاله بعض فضائله من خلال السنة النبوية المطهرة ؛ ليكون دافعا و مرغبا لأبناء الأمة الإسلامية على حفظه و تعاهده ، فطبيعة الإنسان حينما يعلم بقيمة و عظمة شيء ما ؛ فإنه يحرص بكل السبل لامتلاكه و الاحتياط الشديد في المحافظة عليه، لذا قصدت توضيح مزايا تعاهد القرآن سواء للآباء أو للأبناء و ما لذلك من أثر طيب نلمسه في الدنيا و وعد من رب كريم بعظيم الجزاء في الآخرة ، خاصة و نحن نعيش فترة زمنية أصبحت الحرب على الإسلام علنية لا يمكن لعاقل أن يغفل عنها ، و يستخدم في هذه الحرب أحدث ما توصل إليه أعداء الإسلام من تكنولوجيا إعلامية و نفسية و تربوية ، لصرف الأجيال القادمة عن مكمن قوة أمة الإسلام ، و دستور حياتهم و هو القرآن الكريم و السنة النبوية ، ليخرج جيل مسخ هش لا هوية له ، و لا مرجعية يستند إليها ، و عندها تسنح لهم الفرصة لينقضوا على أمة الإسلام ، و قد تيقنوا أنه لن يقف في وجههم أي عائق ، و لن يظهر من هذا الجيل الذي فقد هويته أحد ، مثل صلاح الدين أو قطز ، و غيرهم من القادة العظام الذين وحدوا أمة الإسلام في مواجهة أعدائها ،

لقد فهم أعداء هذه الأمة ، الدروس الماضية في مواجهتهم مع أمة الإسلام ، لذلك فالحرب الآن تدور بشراسة لسلبنا سر قوتنا و معجزة نبينا الباقية إلى يوم الدين .

حيث يتم ترغيب الشباب بوسائل مدروسة بعناية شديدة لجعل الاهتمام بالقرآن و علومه في آخر الأولويات ، و أدعوا الله أن أوفق في الوصول للنتيجة المرجوة فيكون هذا الجهد دافعاً لأبناء الأمة الإسلامية على حفظ القرآن و تعاهده، و الترغيب و الحث على الاستزادة منه و العمل بكل ما فيه ، من عقيدة و عبادة و أحكام و نظم و أخلاق ، و المواظبة على تلاوته و حفظ ما تيسر منه فهو العصمة و النجاة لمن تمسك به و النور المبين و الشفاء النافع .

ولا يتركن أحد حفظ القرآن و تلاوته خوفاً من الحديث الذي رُوي عن النبي ﷺ ((ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله أجذم))

فهذا الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي ﷺ ، و مضمونه الترغيب في كثرة تلاوة القرآن و استذكاره و تعاهده ؛ لئلا يُعَرِّضه حافظه للنسيان ، و قال العلماء عن هذا الحديث :

إن ذلك في ترك القرآن و ترك العمل بما فيه ، و إن النسيان أريد به هنا الترك نحو قوله تعالى: ﴿ **و قيل اليوم نَنْسَاكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا**﴾[1].

فليس من اشتهى حفظة و تفلت منه بناس له ، إذا كان يحل حلاله و يحرم حرامه ، لأن هذا ليس بناس له ، و لو كان كذلك ما نسي النبي ﷺ منه شيئاً ، و قد نسي . و قال ذكرني هذا آية كذا ، و قال الله عز و جل ﴿ **سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله** ﴾ [2] .

فلم يكن الله ﷻ لينسي نبيه عليه السلام .

ثم كان من الصحابة رضي الله عنهم ، و هم الذين خوطبوا بهذا الخطاب ، من لا يحفظ القرآن كله ، و لكنهم جميعا وقفوا على معانيه و عرفوا تأويله و حفظوا

---

(١) سورة الجاثية من آية (٣٤) .

(٢) سورة الأعلى آية (٦) .

أحكامه ، و ربما عرف العارف منهم أحكاماً من القرآن كثيرة و هو لم يحفظ سورها [١] .

إذن فالخوف من الإقدام على حفظ القرآن خشية نسيانه و التعرض للقاء الله في هذه الحالة ، غير ثابت ، فليُقْدم كل مسلم و مسلمة على تلاوة القرآن و حفظه ، و قد تعهد الله سبحانه بتيسير ذلك لمن أراد فقال ﷻ ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكر** ﴾ [٢] .

و من أسباب اختياري لهذا البحث :

* إبراز بعض فضائل القرآن الكريم من خلال السنة النبوية ، لتكون دافعا لأبناء أمة الإسلام التزام حفظه و تلاوته .

*دفع الآباء إلى الحرص على تحفيظ أبنائهم القرآن ، و ذلك ببيان نتائج ذلك ، و أن ثمرته تعود إليهم في الدنيا و الآخرة .

*إثبات استمرارية إعجاز القرآن الكريم ، و مناسبته لكل عصر ، فهي لا تندثر بمرور الزمان.

* ازدياد المؤمنين إيمانا و يقينا بقرآننا و سنتنا و أنها سفينة النجاة ، و مراجعة المعاندين أنفسهم ، علهم يهتدوا إلى الإسلام و يوقنوا أنه الحق ، و أنه الدين الخاتم .

أما عن منهجي في هذا البحث ؛ فقد قسمته إلى مقدمة و ثلاثة أبواب و خاتمة .

أما المقدمة : بينت فيها أصل اشتقاق كلمة القرآن ، و أنه سبيلنا الوحيد إلى النجاة في الدارين ، و بينت فيها ضعف الحديث الذي كان فهمه خطأ ؛ مما ينتج عنه إحجام البعض عن حفظ بعض القرآن الكريم خوف نسيانه و لقي الله

---

(١) فتح الباري ٨٦/٨ ، مرقاة المصابيح:٧٠٠/٤ التمهيد لابن عبد البر ٣٢/١٤ - ٣٣ بتصرف و اختصار .

(٢) سورة القمر آية (١٧) .

على هذه الحالة .

أما الباب الأول فيشتمل على فصلين :

الفصل الأول : في أسماء القرآن الكريم .

الفصل الثاني : في حق القرآن علينا من خلال السنة النبوية .

أما الباب الثاني فيشتمل على فصلين :

الفصل الأول : في فضائل القرآن الكريم من خلال السنة المطهرة و مميزاته على الكتب السماوية السابقة .

الفصل الثاني و فيه فضائل أهل القرآن و حامليه من خلال السنة المطهرة.

أما الباب الثالث فيشتمل على ثلاثه فصول :

الفصل الأول : في الفضائل الدنيوية لحاملي القرآن من خلال السنة .

الفصل الثاني : في الفضائل الأخروية لحاملي القرآن من خلال السنة .

الفصل الثالث : في أثر و فضل تعليم الأبناء القرآن في الدنيا و الآخرة .

أما الخاتمة : فقد لخصت فيها مضمون البحث ؛ و أهم النتائج التي توصلت إليها ، و هي قليل من كثير لا ينتهي من بحر فضائل هذا الكتاب العزيز، المحفوظ بحفظ الله له .

و قد التزمت في منهج البحث بعزو الآيات القرآنية و توثيقها و تخريج الأحاديث النبوية بعزوها إلى مصادر السنة المعتمدة ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما ؛ اكتفيت بالعزو إليهما ، و إن لم يكن فيهما خرجته من دواوين السنة مع بيان الحكم عليه ، و جميع الأحاديث المذكورة في البحث مقبولة .

و أتمنى أن يكون هذا البحث خالصا لوجه الله تعالى ، و أن ينفع به المسلمين و يساهم في تأصيل حبنا لهذا الكنز العظيم ، الذي أهدانا إياه رب

السماوات والأرض على يد خاتم المرسلين ، و أن ينفع كل من يريد السير على هدى كتاب الله و سنة حبيبنا و منهج الإسلام الحق ، و أتمنى على العزيز القدير أن يكون هذا العلم مما يلحقني من حسناتي في قبري ، فإن أصبت و نفعت بـه الإسلام و المسلمين ، ففضل و منة من الله تعالى ، و إن أخطأت أو قصـرت ، فمن نفسي .

الحمد لله في كل حين أولاً و آخراً و الصلاة و السلام على نبينـا الأمـي محمد بن عبد الله و على آله و صحبه أجمعين ، و استغفر الله العظيم في كـل وقت و حين.

و الحمد لله رب العالمين .

المؤلفة

الباب الأول

أسماء القرآن و حقه علينا

و يشتمل على فصلين :

* **الفصل الأول في :** أسماء القرآن .

* **الفصل الثاني في :** حق القرآن علينا .

الفصل الأول

أسماء القرآن الكريم

القرآن الكريم فضائله كثيرة لا تعد ، و من فضائله كثرة أسمائه و صفاته، فقد سمى الله القرآن الكريم بأسماء عَلِيَّة و صفات جَلِيَّة ، تزيد على الخمسين؛ وتعدد الأسماء يدل على الشرف و الفضل ، فإليك هذه الأسماء و بعض معانيها.

سماه كتابا :

في قوله تعالى ﴿ حم (١) و الكتاب المبين (٢) ﴾[١] . فالكتاب أصله يرجع إلى الجمع و سمي به ؛ لأنه يجمع أنواعا من القصص و الآيات و الأحكام و الأخبار على أوجه مخصوصه .

و مبين لأنه أبان . أي أظهر الحق من الباطل .

و سماه قرآنا :

في قوله ﷻ ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾[٢] . و سمي القرآن قرآنا ، لأنه جمع السور بعضها إلى بعض ؛ أو لأنه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة ، أو لأنه جمع أنواع العلوم كلها[٣]. كما في قوله ﷻ ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[٤].

و سماه كلاما :

في قوله ﷻ ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ [٥] . و كلام الله موصوف بالتمام .

و سماه نوراً :

في قوله ﷻ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم

---

(١) سورة الدخان آية (١ ، ٢).

(٢) سورة الواقعة آية ٧٧ .

(٣) البرهان ٢٧٧/١ و الإتقان ١١٢/١ بتصرف و اختصار .

(٤) سورة الأنعام من آية (٣٨) .

(٥) سورة التوبة من آية (٦) .

نوراً مبيناً ﴾ [١] . فالنور هو الذي يبين الأشياء ، و يُري الأبصار حقيقتها ، ويدرك به غوامض الحلال و الحرام [٢]، اللهم اجعلنا ممن يسيرون في نوره ، ويتبعون هداه و رشده ، فننجو من النار إلى أعلى الجنات .

و سماه هدى :

في قوله ﷻ ﴿ **تلك آيات الكتاب الحكيم هدى و رحمة للمحسنين** ﴾[٣].

و الهدى : هو الإرشاد الموصل إلى الجنة في الآخرة .

و سماه رحمة :

كما في الآية السابقة و كذلك في في قوله ﷻ ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم و شفاء لما في الصدور و هدى و رحمة للمؤمنين قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ [٤] . فوصف القرآن بالرحمة لأنه ؛ سبب الإيمان الموصل إلى رحمة الله في الآخرة بدخول الجنة .

و سماه فرقانا :

في قوله ﷻ﴿ **تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾[٥] ؛ لأنه فُرِق به بين الحق و الباطل و بين الحلال و الحرام .

و سماه شفاء :

في قوله ﷻ ﴿ **و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين** ﴾ [٦] .

الشفاء هو : دواء يُبْرِئ من المرض ، فمن آمن به كان له شفاء و برء من سقم الكفر و الجهل [٧]، و قد لَمَسْنا في حياتنا أمراضاً لم يصلح لشفائها إلا القرآن .

---

(١) سورة النساء آية (١٧٤) .

(٢) لسان العرب ٢٤١/٥ و الإتقان ١١٢٨ بتصرف .

(٣) سورة لقمان (٢ ، ٣) .

(٤) سورة يونس (٥٧ ، ٥٨) .

(٥) سورة الفرقان آية (١).

(٦) سورة الإسراء من آية (٨٢).

(٧) البرهان ٢٨٠/١ و لسان العرب ٤٣٦/١٤ .

و سماه موعظة :

في قوله ﷻ ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾ [١] .

و الموعظة : هي النصح و التذكير بالعواقب .

و سماه ذكراً :

فقال ﷻ ﴿ و هذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾[٢] .

و الذكر : هو الشرف و الصيت ، فهو شرف لمحمد و لقومه . و سماه ذكراً لما فيه من المواعظ و التحذير و أخبار الأمم الماضية .

و سماه كريما :

في قوله ﷻ ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾[٣] الكريم من صفات الله و أسمائه ، و وصف كتابه بالكريم : و هو اسم جامع لكل ما يحمد ، لأنه فيه من الهدى و البيان و العلم و الحكمة [٤] .

و سماه عليا :

في قوله ﷻ ﴿ و إنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾[٥] .

و العلي : هو الرفيع العالي المقام الذي لا يعلوه شيء ، فهو كلام الله .

و سماه حكمة :

في قوله تقدسة أسماؤه ﴿ حكمة بالغة فما تغن النذر ﴾[٦] .

و الحكمة : هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ففي القرآن أفضل العلوم و أرقاها من حلال و حرام و من اتبعها تكون له النجاة و الغنيمة في الآخرة .

---

(١) سورة يونس من آية (٥٧) .

(٢) سورة الأنبياء آية (٥).

(٣) سورة الواقعة آية (٧٧) .

(٤) لسان العرب ١٢/٥١٠ – ٥١٣ بتصرف.

(٥) سورة الزخرف آية (٤) .

(٦) سورة القمر آية (٥) .

و سماه حكيما :

فقال ﷻ ﴿ الرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَاب الْحَكِيم ﴾ [١] .

و الحكيم : الحاكم لكم و عليكم ، و هو المحكم الذي لا اختلاف فيه [٢] .

و سماه مهيمناً :

في قولـــه ﷻ ﴿ و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديـــه مـــن الكتاب و مهيمنا عليه ﴾ [٣] .

المهيمن هو الشاهد ، و سماه مهيمنا : لأنة شاهد الكتب المتقدمة بأنها من عند الله ، فهو شاهد بصدق كونها منزلة من عند الله .

و سماه مباركاً :

في قولـــه ﷻ ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر أولوا الألباب ﴾[٤] .

مبارك أي مقدس و منزه و متعاظم و ذو خير كثير . و كتاب الله هو خير كله . أو هو كل الخير ، جعلنا الله ممن ينالون من خيره فينجون من ناره اللهـــم آمين .

و سماه حبلا :

في قوله ﷻ ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا ﴾[٥] . [٢]

الحبل الرِّباط و العهد و التواصل ، فالقرآن هو الوصـــلة بيننـــا و بينـــه سبحانه، فمن تمسك به وصل إلى الجنة .

---

(١) سورة يونس آية (١) .

(٢) لسان العرب ١٤١/١٢ و الاتقان ١١٤/١ بتصرف .

(٣) سورة المائدة من آية (٤٨).

(٤) سورة ص آية (٢٩) .

(٥) سورة آل عمران من آية (١٠٣) .

و سماه الصراط المستقيم :

في قوله ﷻ ﴿ و أنّ هذا صراطي مستقيما ﴾[١] .

الصراط هو الطريق المعتدل المستوي ، فهو يهدي إلى أقوم الحالات [٢]، و أعدلها و هي : توحيد الله و الإيمان برسله و العمل بطاعته فهو طريقنا للجنة.

و سماه القيِّم :

في قوله جلت قدرته ﴿ و لم يجعل له عِوَجاً قيما ﴾ [٣] .

و القيم أي بمصالح العباد الدينية و الدنيوية أو القيم على ما قبله من الكتب السماوية مهيمنا عليها .

و سماه فَصْلاً :

في قوله عز من قائل ﴿ إنه لقول فصل ﴾[٤] .

الفصل : القضاء بين الحق و الباطل ، فكلام الله حق و قاطع .

و سماه نبأ عظيما :

في قوله سبحانه ﴿ عم يتساءلون عن النبأ العظيم ﴾ [٥] .

و النبأ هو المرتفع أو هو الخبر ، و العظيم هو الذي جاوز قَدْرَهُ و جَلَّ عن حدود العقول حتى لا تُتَصَوَّر الإحاطة بكُهنِهِ و حقيقته[٦] .

فالقرآن خَبره عظيم تعجز الأفهام عن الإتيان بمثله و الإحاطة به فلذا سماه نبأ عظيماً .

و سماه أحسن الحديث :

---

(١) سورة الأنعام من آية (١٥٣) .

(٢) لسان العرب مادة صراط و قوم ، الإتقان ١١٤/١٠ بتصرف.

(٣) سورة الكهف من آية (١) .

(٤) سورة الطارق آية (١٣).

(٥) سورة النبأ آية ١ ، ٢ .

(٦) لسان العرب مادة نبأ و عظم .

في قوله سبحانه و تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا﴾[١] .

و سماه تنزيلا :

في قوله ﷻ ﴿ و إنه لتنزيل رب العالمين ﴾ [٢] .

فهو منزل من عند الله على لسان جبريل .

و سماه روحا :

في قوله ﷻ ﴿ و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾[٣] .

الروح هي الرحمة ، و النَّفْخُ ، فسمي القرآن بالروح ، لأن ما نزل به جبريل من الدين يحيا به الناس أي يعيش به الناس و ينقذون من الكفر المؤدي إلى النار في الآخرة ، فتحيا به القلوب و الأنفس .

و سماه قولاً :

في قوله ﷻ ﴿ وَ لَقَد وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرونَ ﴾[٤] .

و سماه بصائر :

في قوله تجلت قدرته ﴿ هذا بصائر للناس ﴾[٥] .

فيه بينات تبصرهم سبيل الفلاح .

و سماه بيانا :

في قوله ﷻ ﴿ هذا بيانٌ للناس ﴾[٦] .

البيان : الفصاحة و هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، و أصله الكشف و

---

(١) سورة الزمر من آية ٢٣ .
(٢) سورة الشعراء ١٩٢ .
(٣) سورة الشورى من آية (٥٢) .
(٤) سورة القصص آية (٥١) .
(٥) سورة الجاثية من آية (٢٠) .
(٦) سورة آل عمران من آية (١٣٨) .

الظهور ، فسمي القرآن بيانا لأن فيه بيان كل شيء[١] .

و سماه مبيناً :

في قوله ﷻ ﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين ﴾[٢] .

المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة ، و أبان الحق من الباطل و الحلال من الحرام فلذا سماه مبيناً .

و سماه وحياً :

في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾[٣] .

الوَحْي : ما يوحيه الله إلى أنبيائه .

و سماه المثاني :

في قوله ﷻ ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني و القرآن العظيم ﴾[٤] .

و سماه عَرَبيا :

في قوله ﷻ ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾[٥] .

و سماه علْما :

في قوله ﷻ ﴿ و لئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ﴾[٦] .

و سماه حقا :

في قوله ﷻ ﴿ إن هذا لهو القصص الحق ﴾ [٧] .

الحق نقيض الباطل ، و حق الأمر : أي صار حقا و ثبت ، فكل ما فـي

---

(١) لسان العرب مادة بين بتصرف .
(٢) سورة يوسف آية (١،٢) .
(٣) سورة الأنبياء من آية (٤٥) .
(٤) سورة الحجر آية ٨٧ و في آية (٢٣) من سورة الزمر .
(٥) سورة الزمر آية (٢٨) .
(٦) سورة الرعد من آية (٣٧) .
(٧) سورة آل عمران من آية (٦٢) .

القرآن ثابت واقع فسماه حقا لهذا .

و سماه الهادي :

في قوله ﷻ ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم** ﴾[١] .

الهدى : ضد الضلال و هي الرشاد و الدلالة فسماه هادياً ؛ لأنه يرشد إلى الصراط المستقيم الموصل إلى الجنة

وسماه عَجَباً :

في قوله ﷻ ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد** ﴾[٢] .

العجب : النظر إلى شيء غير مألوف و لا معتاد ، فسمى القرآن عجباً حيث أنه لم يُر مثله في الفصاحة و البلاغة و البيان ، و قد عجزوا عن الإتيان بمثل آية واحدة منه .

و سماه تَذْكرة :

في قوله ﷻ ﴿ **كلا إنه تَذْكِرة** ﴾[٣] .

الذِّكْرُ : الكتاب الذي فيه تفصيل الدين و وضع الملل[٤]، فسماه تذكرة ؛ لأنه حوى الدين كله و يُذَكِّر الإنسان بأموره كلها فهو تذكرة له إذا نسي .

و سماه بالعروة الوثقى :

في قوله ﷻ ﴿ **و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾[٥] .

---

(١) سورة الإسراء من آية (٩) .

(٢) سورة الجن من آية (١) .

(٣) سورة المدثر آية (٥٤) .

(٤) لسان العرب مادة ذكر بتصرف .

(٥) سورة لقمان آية (٢٢) .

العروة : العهد الأوثق الذي لا نقض له ، و هي قول لا إله إلا الله فسمي القرآن بالعروة الوثقى ؛ لأن من تمسك به فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تَحُلُّهُ حُجَّة[١] .

و سماه متشابها :

في قوله ﷻ ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها** ﴾[٢] .

فكل القرآن متشابه في إعجازه و هدايته و إرشاده إلى الطريق الموصل إلى الجنة .

و سماه صدقا :

في قوله ﴿ **و الذي جاء بالصدق و صدق به أولئك هم المتقون** ﴾ [٣] .

فكل ما فيه صدق و حق فهو كلام رب العالمين .

و سماه عدلاً :

في قوله ﷻ ﴿ **و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلاً** ﴾

العدل : ضد الجور ، فكل ما في القرآن من أحكام عادلة ، و كيف لا ؟ و هي ناشئة عن رب العالمين !

و سماه إيمانا :

فقال ﷻ ﴿**ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا** ﴾[٤] .

فالإيمان هو التصديق ، و القرآن تصديق للنبي بكل ما جاء به عن الله.

و سماه أمراً :

في قوله ﷻ ﴿ **ذلك أمر الله أنزله إليكم** ﴾[٥] .

---

(١) لسان العرب مادة (عرو) بتصرف.

(٢) سورة الزمر من آية (٢٣) .

(٣) سورة الزمر آية (٣٣) .

(٤) سورة آل عمران من آية (١٩٣) .

(٥) سورة الطلاق من آية (٥) .

و سماه بشرى :

في قوله ﷻ ﴿ هدي و بشرى للمؤمنين ﴾[١] .

وسماه مجيداً :

في قوله ﷻ ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾[٢] .

المجيد : الرفيع العالي الشريف ، فهو كلام رب العالمين .

و سماه زبوراً :

في قوله ﷻ ﴿ ولَقَد كتبنا في الزبور من بعد الـــذكر أن الأرض يرثهـــا عبادي الصالحون ﴾[٣] . [٢]

الزَّبور يطلق على التوراة و الإنجيل و القرآن : أي يطلق هلى الكتابة المنزلة على الرسل . فالزبور هنا : جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور .

و سماه بشيراً و نذيراً :

في قوله ﷻ ﴿ بشيراً و نذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾[٤] .

و سماه عزيزاً :

في قوله ﷻ ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾[٥] .

العزيز الممتنع فلا يغلبه شيء ، و قيل : ليس كمثله شيء أي أن الكتـــب التي تقدمته لا تبطله و لا يأتي كتاب يبطله ، فقد حُفِظ وَ عَزَّ من أن يلحقه شيء فسماه عزيزاً[٦] .

---

(١) سورة النمل آية (٢) .
(٢) سورة البروج آية (٢١).
(٣) سورة الأنبياء آية (١٠٥) .
(٤) سورة فصلت آية (٤) .
(٥) سورة فصلت من آية (٤١) .
(٦) لسان العرب مادة عزز و البرهان ٢٧٩/١ بتصرف .

و سماه بلاغاً :

في قوله ﷻ ﴿ **هذا بلاغ للناس** ﴾[١] .

لأن فيه الإعلام و الإبلاغ و أداء الرسالة كما أن فيه بلاغة و كفاية عن غيره. **و سماه قصصاً :**

في قوله ﷻ ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾[٢] .

ففيه أخبار الأمم الماضية و قصصهم .

و سماه صحفا مكرمة :

في قوله تبارك و تعالى ﴿ **في صحف مكرمة** ﴾[٣] .

و الصحيفة هي الكتاب الكريم كثير الخير و هو الجامع لأنواع الخير .

فهذه خمسين اسما من أسماء القرآن الكريم و هي دليل على شرفه وفضله

---

(١) سورة إبراهيم (٥٢) .

(٢) سورة يوسف من آية (٣).

(٣) سورة عبسى آية (١٣) .

الفصل الثاني

حق القرآن علينا

حقوق القرآن و واجباته كثيرة و عظيمة ، و مهما حاولنا بذل قصارى جهدنا في ذلك فلن نبلغ منتهاه ، فكيف ؟! و هو كلام رب العالمين ؟

و لكنا نحبو وراء ذلك قدر استطاعتنا ، لعلنا ننال بعض بركاته و رحماته، فهو سفينة نجاة المسلمين .

و من هذه الحقوق الواجب مراعتها :

(١) توقير و تبجيل كتاب الله

فعلينا إذا أردنا قراءة القرآن ؛ أن نستحضر في قلوبنا و عقولنا و أبداننا ، أننا أمام كلام خالق البشر ، فنستحضر الرهبة و الخشية في قلوبنا لتنزل علينا السكينة و الرحمة الإلهية .

(٢) تعاهد القرآن و المواظبة على قراءته حتى لا ينسى

قرآننا هو سفينة نجاتنا من بحر الظلمات ، فعلينا أن نعض عليه بالنواجذ حتى لا يتفلت منا ، و قد نبهنا المصطفى ﷺ و حذرنا من تفصيه ، فقال ﷺ في سنته المطهرة فيما رواه عنه عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال : ((**إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقّله،إن عاهد عليها أمسكها،و إن أطلقها ذَهَبَتْ**))[١] فهذا المثل البليغ الذي ضربه النبي ﷺ دليل على أنه ما دام التعاهد موجود فالحفظ موجود ، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ .

وهذه المعاهدة للقرآن أعم من أن تكون نظراً في مصحف أو عن ظهر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن و تعاهده ٧٩/٩/ح ٥٠٣١ من الفتح .

* و مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الأمر بتعهد القرآن ٣١٦/٦/ح ١٨٣٦ بنحوه (من النووي).

قلب فبأي وسيلة تناسب المسلم يلتزمها ، حفظا للقرآن ، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة و شقت .

و مما يؤكد وجوب هذا التعاهد للقرآن ، ما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال ((**تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها**)) [١] . فالحديث فيه إرشاد إلى استمرار تلاوته حتى لا يتفلت .

(٣) عدم هجر القرآن و نسيانه

حثنا القرآن و حضتنا السنة على تعاهد القرآن و عدم هجره خوفا من نسيانه و قد اختلف السلف في حكم نسيان القرآن ، و منهم من جعل ذلك من الكبائر .

روى الضحاك بن مزاحم[٢] موقوفا قال : (ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه) لأن الله ﷻ يقول : ﴿ **و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم** ﴾[٣] .

و نسيان القرآن من أعظم المصائب[٤] .

و قد قال ﷺ فيما رواه عنه عبد الله قال : قال النبي ﷺ ((**بئس ما لأحدهم يقول نسيت آية كيت و كيت بل هو نسي**)) [٥] .

ففي الحديث ذم النبي ﷺ من قال نسيت آية كذا و سببه ما فيه من الإشعار

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن و تعاهده ٩/٧٩/ح ٥٠٣٣.

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير ، و ثقه أحمد بن حنبل و يحيى بن معين و غيرهما مات بعد المائة له ترجمة في (سير أعلام النبلاء ٥/٤٨١/٦٠٥ و تقريب التهذيب ١/٣٧٣/١٧).

(٣) سورة الشورى آية (٣٠) .

(٤) فتح الباري ٩/٨٦ بتصرف.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب نسيان القرآن ٩/٨٥/ح ٥٠٣٩ من الفتح.

بعدم الإعتناء بالقرآن ة تعاهده ، فلو تعاهده بتلاوته و القيام به في الصلاة لـدام حفظه و تذكره .

هل حفظ القرآن كله واجب على جميع المسلمين ؟

ديننا دين اليسر و الرحمة ، و الله أرأف من أن يكلف عباده ما لا طاقـة لعامتهم به فقال ﷻ ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾ [١] .

و ليس في وسع كل مسلم حفظ جميع القرآن ، فهو أعظم شـأنا و أمنـع جانباً من أن يحيط به كل حفظ ، لذلك فحفظه ليس فرضاً واجبا على الأمة كلها و إنما هو فرض كفاية ، و على كل مسلم حفظ ما يطيقه حسب ما وهبه الله من طاقة و سعة ، و ليبذل في ذلك قصارى جهده . فهو النجاة .

قال الإمام ابن عبد البر : كان الصحابة ﷺ منهم من يحفظ القرآن كلـه ، ومنهم من لم يكن يحفظه كاملاً ، وكلهم كان يقف على معانيه و أحكامه و يعرف تأويله[٢] .

فالواجب إذا مداومة تلاوته و دراسته ، فمن استطاع حفظه فنعما هـي ، ومن لم يستطع فعليه التلاوة نظراً من المصحف و له أجر عظيم إن شاء الله .

و النسيان أريد به الترك ، و ليس من اشتهى حفظه و تفلت من بناس له ، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

علاج نسيان القرآن

هناك علاجات مجربة و ناجحة نجاحاً كبيراً ، لو حرص عليهـا المسـلم سينجح نجاحاً أكيداً إن شاء الله ، من هذه العلاجات

العلاج الأول : هو اللجوء إلى الله أن يلزم قلبك حفظ القرآن و أن يشرح صدرك و يثبتك و يفتح قلبك ، و يطلق لسانك به .

---

(١) سورة البقرة من آية (٢٨٦).

(٢) فضائل القرآن للرازي ص ٣٧ ، فتح الباري ٨٦/١ بتصرف.

العلاج الثاني : هو دوام التلاوة و المذاكرة مع النفس و مع الأهل و في الصلاة في التهجد ، حاول أن تجد لك زميلا حافظا تتذاكر و تتدارس معه كتاب الله ، فسيدنا جبريل عليه السلام ، كان يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان حتى دارسه في السنة الأخيرة من حياته مرتين[١]، و هذا العلاج قد أرشدنا إليه نبينا محمد ﷺ فيما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال ((**تعاهدوا القرآن ، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها**)) [٢] .

و في رواية (استذكروا القرآن) و قد بشر الله ﷻ بتيسير ذلك في قوله ﴿ **و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر** ﴾ [٣] .

العلاج الثالث : ترك الذنوب و المعاصي ، حتى ننال من نور الله و قرآنه الكريم ، فنور الله لا يهدي العاصي ، فلا بد من أن نرقى بأنفسنا إلى درجة الإيمان و الإحسان ، فالمصيبة أو الذنب يكون من الإنسان نفسه ، فقد قال ﷻ ﴿ و ما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾[٤] .

العلاج الرابع : النظام و المداومة على تلاوة جزء معين كل يوم على حسب قدرة الإنسان و طبيعة عمله ، فلو وضع المسلم لنفسه نظاما ، فإنه سيمر كل فترة على آي القرآن كله ، فيستطيع بذلك إن شاء الله معالجة نسيان القرآن ، و يحتفظ لنفسه الكنز العظيم الذي سيوصله إن حفظ له حقوقه إلى أعلى الجنات .

(٤) تدبر القرآن و تفهمه :

حث القرآن على التفكر في آياته و فهمها عند التلاوة فقال ﷻ

---

(١) القرآن أنواره و آثاره و أوصافه لمحمد محمود الصواف ص ١١٣ بتصرف و اختصار.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده ٧٩/٩/ ح ٥٠٣٣ من الفتح .

(٣) سورة القمر آية (٤٠) .

(٤) سورة النساء من آية (٧٩) .

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته و ليتذكر أولوا الألباب ﴾ [١].

أي لينظروا فيه و في عواقبه .

و قال ﷻ ﴿ و رتل القرآن ترتيلا ﴾ [٢] .

أي اقرأه بتمهل و تبين حروف بعضه على تؤدة ، و لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، فقد ثبت أن النبي ﷺ كانت قراءته مداً [٣] .

فعن قتادة قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال (**كان يَمُـدُّ مَدّاً**) [٤] فتكره القراءة بلا تدبر .

(٥) الإنصات للقرآن و الاستماع له عند التلاوة :

فإن ذلك سبيل إلى الرحمة ، المغفرة ، فقال تعالى ﴿ و إذا قرئ القـرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [٥] .

و الإنصات للقرآن يتأكد في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام[٦] .

(٦) تحسين الصوت بالقرآن و تجويده و التلذذ بقراءته :

علينا أن نحسن أصواتنا بالقرآن و نجوده و نستشعر و نحس بكل كلمـة فيه، و بكل حرف ، و تزيين الصوت بالقرآن و الجهر به أمر دعا إليه الشـرع وحبذه فقال ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة أنه قال ((**ما أذن الله لشيء مـا أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن**)) [٧] .

---

(١) سورة ص آية ٢٩ .

(٢) سورة المزمل من آية (٤).

(٣) فتح الباري ٨٩/٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب مد القراءة ٩١/٩/ح ٥٠٤٦.

(٥) سورة الأعراف آية (٢٠٤).

(٦) تفسير ابن كثير ٧٨٧/٢ بتصرف.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب مـن لـم يـتغن بـالقرآن ٦٨/٩/ح ٥٠٢٣ (من الفتح) .

و قد اختلف العلماء في معناه : فقيل أن يحسن صوته جاهراً به مترنما على طريق التحزن مستغنياً به عن غيره من الأخبار طالبا به غنى النفس راجيا به غنى اليد[١] . و قد جاء الأمر بذلك في قوله ﷺ **((زينوا القرآن بأصواتكم))** [٢] .

(٧) التزام آداب التلاوة :

و من حق القرآن علينا أيضا التزام آدابه و منها :-

استقبال القبلة ، الوضوء ، التعوذ قبل القراءة ، و البسملة في أول كل سورة ، و تطهير الفم و تطييبه بالسواك و غيره ، و تطهير البدن و ارتداء أجمل الثياب ، و على المسلم اختيار أوقات نشاطه فهي أدعى للتدبر و الاستماع ، و ليتركه إذا كان متعبا فقد قال ﷺ **((إذا قام أحدكم من الليل ، فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع))** [٣] .

---

(١) فتح الباري ٦٨/٩ بتصرف.

(٢) أخرجه الدرامي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب التغني بالقرآن ٥٦٥/٢/ح ٣٥٠٠ و الحاكم في مستدركه ٥٧١/١ و أخرجه أبو داود و النسائي و ابن ماجة و غيرهم و قد صححه العلماء.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب الأمر بتعهد القرآن و كراهة قول : نسيت آية كذا ٣١٧/٦/ح ٧١٨٣٧ و النسائي في فضائل القرآن ، باب من استعجم القرآن على لسانه ص ١٠/ح ٦٩.

الباب الثاني

فضائل القرآن و أهله

و يشتمل على فصلين :

* **الفصل الأول في :** فضائل القرآن الكريم ، و مميزاته على الكتب السابقة .

* **الفصل الثاني في :** فضائل أهل القرآن وحامليه .

الفصل الأول

فضائل القرآن الكريم ، و مميزاته على الكتب السابقة ، و يشـــتمل على النقاط التالية :

- القرآن الكريم معجزة .
- بقاء معجزته إلى قيام الساعة .
- نزول القرآن منجما .
- حفظه من التغيير و التبديل .
- اجتماع شرف الزمان و المكان لنزوله .
- هيمنة القرآن للكتب السماوية السابقة .
- حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض .
- ندعو الله به .
- وصية النبي به .
- نزول الملائكة و السكينة عند تلاوته .
- خشوع الإنس و الجن و الجمادات عند تلاوته .
- القرآن الكريم هو السبيل لأمثل الطرق الموصلة للجنة .
- القرآن هو النهر الفياض لمختلف العلوم و الفنون في كل الأعمال .
- اشتمال القرآن على الفاتحة .
- خاتمة الكتب السماوية .
- سهولة و يسر الشريعة الإسلامية التي جاء بها القرآن .
- عموم رسالة الإسلام التي أتى بها القرآن الكريم .

(١) القرآن الكريم معجز :

القرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ فقد تحدى به الكفار و أعجزهم فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله رغم أنهم أفصح الخلق ، فكيف يأتون بمثله ، و هو كلام رب العالمين ؟ قال تعالى :

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتون بمثل هـذا القـرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾[١] وإزداد التحدي لهم في قوله ﷻ **﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾**[٢] و لتبيان العجز الكامل الأبدي لأفصح الخلق و لأعوانهم ، نزل تحدي رب العزة في قوله ﷻ **﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله و ادعو من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾**[٣] .

فعجزوا أن يأتوا بسورة على صفته من البيان و علو الطبقة في البلاغة ، و قد أخبر ﷻ عن عجزهم في أن يأتوا بمثله عجزا أبديا ليوم الدين ، في تحد لا يقدر عليه سوى مالك الملك و عالم الغيب فقال ﷻ **﴿ و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا ﴾**[٤] .

فالقرآن الكريم معجز بكل ما تشمله الكلمة من معنى ، فقد أحكمت ألفاظه، و فصلت معانيه ، فلفظه و معناه فصيح ، و قد أخبر عن أمور غيبية مضت و كانت قد وقعت طبق ما أخبر سواء بسواء . و إذا تأملت أخباره وجدتها في غاية الدقة و الحلاوة ، سواء كانت مبسوطة أو وجيزة فلا يُمَلُّ منه .

---

(١) سورة الإسراء آية (٨٨) .
(٢) سورة هود من آية (١٣).
(٣) سورة يونس (٣٨) .
(٤) سورة البقرة من آية (٢٣ ، ٢٤) .

(٢) بقاء معجزته إلى قيام الساعة :

القرآن الكريم هو المعجزة العظمى لنبينا محمد ﷺ التي اختص بها دون غيره ، فكل نبي أُعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره ، و معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، فلا يستطيعون إنكارها أو إدعاء أنها من عند بشر ، فكما كان السحر فاشيا عن فرعون فجاء موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلتقط ما صنعوا ، و لم يقع ذلك بعينه لغيره من الرسل .

و كذلك إحياء عيسى الموتى ، و إبراء الأكمه و الأبرص لكون الأطباء و الحكماء في ذلك الزمان غاية في الظهور ، فأتاهم معجزة من جنس عملهم و بما لم تصل قدرتهم إليه .

و لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن متحديا لهم به فلم يقدروا على ذلك .

و معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلا من حضرها ، أما معجزة القرآن البلاغية فمستمرة إلى يوم الدين ، و كذلك المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح و غيرها ، أما معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشَاهِدِه ، و الذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً[١] .

و لهذا قال النبي ﷺ **((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، و إنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))**[٢] .

---

(١) فتح الباري ٩/٣-٦ بتصرف و اختصار .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحي ، و أول ما نزل ٩/٣/ح ٤٩٨١

* و النسائي في فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي ص ٥٨/ح ٢ .

فلأن معجزة القرآن مستمرة لكثرة فائدته و لإشتماله على الدعوة و الحجة و الإخبار بما سيكون ، فعم نفعه من حضر و من غاب ، و من وجد و من سيوجد ، و قد تحقق هذا الأمر فالنبي محمد ﷺ أكثر الأنبياء تبعا[1] .

فمعجزة القرآن الكريم تتميز على غيرها بالبقاء ، فالأنبياء السابقين لما ماتوا ، لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه ، فأما رسولنا محمد الخاتم للرسالة ، فمعظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر في كل حين كما أنزل .

و من الملاحظ أنه و على مدى تعاقب الأجيال من العلماء على مختلف الأزمان فإن كل منهم في تخصصه (طب - تاريخ – جيولوجيا ...) يجد في القرآن شيئاً يمس قمة ما وصل إليه من اكتشافات كل في مجاله .

و مع تميز عصرنا الحالي بالتقدم العلمي المذهل مما أدى إلى إلغاء أو على الأقل تعديل العديد من القوانين و النظريات التي إستمرت لأزمنة عديدة و البشر يعتقدون أنها صحيحة و مسلم بها ، نجد أن المتفحصين من علمائنا جزاهم الله خيرا تفاجأوا بوجود ذلك بالقرآن ، و هو الكتاب المحفوظ من التحريف و الإضافة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، و هي آية متجددة لكل عصر أنه منزل من الله الواحد الأحد علام الغيوب ﷻ

فسيبقى قرآننا بفضل الله و قدرته متحديا و قاهراً لكل البشر و إلى أن تقوم الساعة .

(٣) نزول القرآن مفرقا :

الكتب السماوية المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة ، أما القرآن الكريم فقد نزل منجما بحسب الوقائع ، لشدة الإعتناء به و بمن أنزله عليه ، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة .

---

(١) فتح الباري ٩/٧/ و تفسير ابن كثير ١/٢٠ بتصرف و اختصار .

و يوضح الحكمة من نزول القرآن منجما قوله ﷻ ﴿ **و قال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا**﴾[1].

أي أنزلناه مفرقا لنقوي به قلبك ، و نزوله كذلك يستلزم كثرة نزول الملك إليه من رب العالمين .

و قيل : لنثبت به فؤادك : أي لتحفظه ، فإنه عليه السلام كان أميا ، ففُرق عليه ليثبت عنده حفظه .

و هناك حكمة أخرى لنزول القرآن مفرقا و هي : أن ذلك أدعى إلى قبوله بخلاف ما لو نزل جملة واحدة ، فإنه قد ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما به من فرائض و مناهي ، و يوضح ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه[2] . عن عائشة أم المؤمنين قالت : (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة و النار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال و الحرام، و لو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً و لو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً)

(٤) حفظ القرآن من التغيير و التبديل :

تكفل الله ﷻ بحفظ القرآن بنفسه الكريمة فقال تعالى ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون** ﴾[3] .

و من أسباب حفظه : تيسير قراءته و حفظه في القلوب و الصدور ، حتى الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم ، قد نجدهم يحفظون أجزاء كثيرة منه ، و منهم من يحفظه كاملاً في صدره ، و ما ذلك إلا جزء من وعد الله لنا بحفظ القرآن الكريم

(٥) اجتماع شرف الزمان و المكان لنزوله :

---

(١) سورة الفرقان من آية (٣٢) .

(٢) في كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن ، ٩/٣٩/ح ٤٩٩٣ من الفتح مختصراً .

(٣) سورة الحجر آية (٩) .

قرآننا سفينة نجاتنا ، ابتُدِئَ نزوله في مكان شريف ، و هو مكة المكرمة البلد الحرام و في زمن شريف ، و هو شهر رمضان و في ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .

و لهذا يستحب إكثار تلاوته في شهر رمضان ، لأنه ابتدئ نزوله فيه و لمعارضة جبريل عليه السلام النبي ﷺ القرآن فيه ، فلما كانت السنة التي توفي فيها عارضه به مرتين تأكيداً و تثبيتاً .

و قد جاء في البخاري[١] . ما يدل على ذلك ، فعن عائشة و ابن عباس رضي الله عنهم قالا : لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن و بالمدينة عشر سنين .

و في الحاكم[٢] بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنه قال (نزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم فرق في السنين) .

(٦) هيمنة القرآن على الكتب السماوية السابقة :

شهد القرآن الكريم للكتب السماوية السابقة بالصدق و الأمانة ، فالقرآن أمين على كل كتاب قبله ، تضمن تصديق جميع ما أنزل قبله ، قال تعالى ﴿ **و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب و مهيمناً عليه** ﴾ [٣] .

مدح الله القرآن و وصفه بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله و أنه مصدقا للكتب المتقدمة المتضمنة ذكره و مدحه ، فالقرآن أمين و شاهد و حاكم على كل كتاب قبله[٤] .

(٧) القرآن الكريم هو الحبل الممدود من السماء إلى الأرض :

قرآننا هو سفينة نجاتنا ، و هو الرابطة بيننا و بين الله ، و هو الوصلة المتينة

---

(١) في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحي ٩/٣/ح ٤٩٧٨ .

(٢) في مستدركه ، كتاب التفسير ، باب تفسير (إنا أنزلناه) ٣/٨٥/ح ٤٠١١ (مختصراً) و صححه الحاكم و أقره الذهبي .

(٣) سورة المائدة من آية (٤٨) .

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٦٠١ ، فتح الباري ٩/٤ بتصرف و اختصار.

التي تشد من أزرنا إذا ضاقت بنا السبل ، فنلجأ إلى الخالق الرحمن الرحيم ، فنناجيه به و نشكو إليه من خلال كلماته المعجزة التي تقشعر لها الأبدان و تهتز لها القلوب ، فنجد فيه الأمن و الأمان و الملاذ لأرواحنا في حلنا و ترحالنا .

(١) و قد قال سيدنا عبد الله بن مسعود[١] . ﷺ (إن هذا القرآن مأدبة[٢] . الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن هو حبل الله الذي أمر به، و هو النور المبين ٠٠٠٠ الحديث) [٣] .

ففيه تشبيه كتاب الله بالحبل الممدود بين الله و بين خلقه .

و قد قال ﷻ في كتابه العزيز موصيا بالتمسك به

﴿ و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا ﴾[٤] .

فأوصانا بالتمسك بعهد الله و بقرآنه و نهانا عن التفرقة ، و كأن البشر جميها غرقى لا يجدون منقذا لهم و قد تقطعت بهم السبل ،فإذا برحمن السماوات و الأرض يمد لهم حبلاً يتعلقون به يكون هو سبيلهم الوحيد للنجاة مما هم فيه .

جمع الله المسلمين على عهده و كلمته و قرآنه آمين آمين .

(٨) ندعو الله به :

---

(١) الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن مخزوم أسلم قديما و هاجر الهجرتين و شهد المشاهد و كان أقرب الناس هديا و دلا برسول الله ﷺ مات بالمدينة سنة ٣٢ هجرية ترجمة في (الإصابة ٤/١٩٨/ ٤٩٧٠ و سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١).

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ١/٣٠ مأدبته أي مدعاته ، شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير و منافع.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم القرآن و فضله ٣/٣٧٥/ح ٦٠١٧ موقوف على عبد الله بن مسعود مطولاً و هو الأصح ؛ و ابن كثير في تفسيره ١/٣٥٢ ، و الرازي في فضائل القرآن و تلاوته ص ٧٣/ح ٣٠ مرفوعا و أبو عبيدة في فضائل القرآن ، باب فضل القرآن و تعلمه و تعليمه الناس ١/٢٤٠/ح ٧ مرفوعا ،، و الحاكم في مستدركه ٢/٢٥٦ و تعقبه الذهبي بأن فيه راوي ضعيف ، و روى الحديث من طرق أخرى صحيحة من قول ابن مسعود . فالموقوف أصح.

(٤) سورة آل عمران من آية (١٠٣).

القرآن الكريم ، كلام الله العظيم ، و هو سبحانه لن يَرُدَّ يداً و قلبا و لساناً تضرع إليه بكلامه ، و سأله الإجابة ببركته ، و قد أرشدنا رسولنا ﷺ الرءوف بأمته أن نسأل الله بالقرآن فقال ﷺ ((**من قرأ القرآن فليسأل الله به**)) [١] .

أي من قرأ القرآن فليطلب من الله تعالى به ما شاء من الأمور الدنيويه و الأخرويه ، فهو خير مسئول ﷻ ، فالله يغضب إن تركت سؤاله ، و بني آدم حين يُسأل يغضب .

(٩) وصية النبي ﷺ بالقرآن الكريم :

الوصية هي : ما يوصي به الإنسان ، و قد وصانا النبي ﷺ بالتزام ما فيه من أحكام شرعية ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع ((**فقال : أنا محمد النبي الأمي – قاله ثلاث مرات .**

و لا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم و خواتمه و جوامعه و علمت كم خزنة النار ، و حملة العرش ، و تجُوِّزَ بي ، و عوفيتُ و عُوفِيَتْ [٢] . **أمتي فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذَهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله و حرموا حرامه** [٣] .)).

فقد وصى النبي الرءوف الرحيم بأمته بالتزام أحكام القرآن ، فما يوصيها بشيء إلا و لها فيه صلاح عاجل أو آجل ، و ما ينهاها عن شيء إلا و قد علم أن فيه هلاكها .

(١٠) نزول الملائكة و السكينة عند تلاوة القرآن :

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب أبواب فضائل القرآن ، ١٨٩/٨/ح ٣٠٨٤ و قال الترمذي : هذا حديث حسن (من تحفة الأحوذي).

(٢) أي تجاوز الله عني و عن أمتي في كثير من التكاليف الشاقة التي كانت في الأمم السابقة كعدم قبول التوبة من المذنب إلا إذا قتل نفسه ، فتجاوز الله و جعل دين الإسلام سهلاً سمحا (الفتح الرباني ٤/١٧ بتصرف).

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٦٦٠٦/١٧٩/١١ و قال المحقق : إسناده ضعيف و له شواهد كثيرة تعضده في البخاري و مسلم.

(١) الملائكة خلق عظيم من خلق الله ، خلقهم من النور و هم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل و النهار لا يفترون ، لهم صفات كالحياء منزهون عن الأعراض البشرية كالجوع ، متفاوتون في خلقهم ، فمنهم من له ستمائة جناح كجبريل عليه السلام ، و منهم ما له جناحان ، و الإيمان بهم أحد أركان العقيدة الإسلامية [١] ، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالوا سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير** ﴾[٢].

قد يتطرق سؤال إلى الذهن و هو : هل يمكن لنا كبشر أن نرى الملائكة ؟

أقول : نعم . من الممكن أن يرى البشر الملائكة !! و لكن متى ؟ و كيف؟

إن الملائكة لا تنزل إلا في مكان يملؤه الطاعة ، و تحيط به أسمى أساليب العبادة و الخشوع و التذلل لله رب العالمين .

و هل هناك أرقى من قراءة القرآن كلام رب العالمين ليكون سببا لحضور الملائكة و نزول الرحمة و السكينة ؟ !

فالملائكة مجبولون على العبادة ، يحبون مجالسها ، فقد أخبر حبيبنا محمد ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال ((**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار ، و يجتمعون في صلاة الفجر و صلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم و هو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم و هم يصلون و أتيناهم و هم يصلون**)) [٣] .

و الصلاة يتلى فيها القرآن ، و يناجي فيها الرحمن ، و يُرجَى منها

---

(١) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ١٤٥ – ١٥٢ بتصرف و اختصار.

(٢) سورة البقرة آية (٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ٢/٣٣/ح ٥٥٥

* و مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ، باب فضل صلاتي الصبح و العصر والمحافظة عليهما ٥/١٣٤/ ح ١٤٣٠.

الغُفْران .

و في حديث آخر تبشير للذين يتلون كتاب الله ، بأن يذكرهم الله في الملأ الأعلى و تتنزل عليهم السكينة و الرحمة ، و تحفهم الملائكة .

فعن النبي ﷺ أنه قال ((**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، و يتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة ، و ذكرهم الله فيمن عنده**)) [١] .

هل ثبت أن هناك من رأى الملائكة ؟

أقول : نعم هناك أفراد من الأمة قد رأت الملائكة أخصُّ منهم من رآهم حين تلاوته للقرآن ، فقد جاء في الحديث الصحيح أن صحابيا جليلا و هو أسيد بن حضير[٢] . قال : (بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة و فرسه مربوط عنده إذ جالت[٣] . الفرس ، فسكت فَسَكَتَتْ ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت و سكت الفرس ، ثم قرأ ، فجالت الفرس ، فانصرف و كان ابنه يحيى قريبا منهما ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجْتَرَّهُ[٤] . [٣]رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها) ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له : ((**اقرأ يا ابن حُضَيْر ، اقرأ يا ابن**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر و الدعاء ، باب فضل االاجتماع على تلاوة القرآن و على الذكر ٢٤/١٧/ ح ٦٧٩٣ (من النووي) . و هو جزء من حديث طويل

* و أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في المعونة للمسلم .

* و ابن ماجة في المقدمة ، باب فضل العلماء و الحث على طلب العلم.

(٢) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأوسي أحد النقباء الإثني عشر ليلة العقبة ، توفي سنة ٢٠ هجرية و دفن بالبقيع ترجمته في (سير أعلام النبلاء ٧٩/٢١٢/٣ و الإصابة ١٨٥/٤٩/١.

(٣) جالت الفرس إذ ذهبت و جاءت ، و التجوال التطواف (لسان العرب ١٣١/١١).

(٤) أي اجتر ولده من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس (فتح الباري ٦٣/٩).

حُضَيْر[1]))

- قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى و كان منها قريبا ، فرفعت رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : ((**و تدري ما ذاك**)) ؟ قال : لا ، قال : ((**تلك الملائكة دنت لصوتك ، و لو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها ، لا تتوارى منهم**)) [2] .

(١١) خشوع الإنس و الجن و الجمادات له عند تلاوته :

قرآننا مصون بحفظ الله له ، أنزله و نوه بذكره في الكتب المتقدمة ، إذا تُلي على بشر فإنهم يخرون ساجدين خاشعين خاضعين لله سبحانه و قد أخبر ﷻ عن هذا الخضوع و الخشوع للإنس من أهل الكتاب قائلاً في محكم آياته

﴿ **قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ، و يقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا و يخرون للأذقان يبكون و يزيدهم خشوعا** ﴾[3] .

---

(١) أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة و استماعها لقراءتك.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب نزول السكينة و الملائكة عند قراءة القرآن ٩/٦٣/ح ٥٠١٨

(من الفتح) .

- و مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ٦/٣٢٣/ ح ١٨٥٦ (من النووي) بلفظ مقارب .
- و الحاكم في المستدرك ، كتاب فضائل القرآن جملة ٢/٢٥٤ / ح ٢٠٧٧ و صححه الحاكم على شرط الشيخين .
- و أبو عبيد في فضائل القرآن ، باب فضل قراءة القرآن و الاستماع إليه ١/٢٤٩/ ح ٢٨ بلفظ مقارب.

(٣) سورة الإسراء آية (١٠٧ – ١٠٩).

هذا شأن صالحي أهل الكتاب إذا تُلي عليهم سيخرون خاشعين لاصقي أذقانهم بالأرض يقينا منهم أنه الحق ، فما بال المؤمنين المسلمين الموحدين ؟

ماذا يحدث لهم إذا تُلِي عليهم هذا القرآن ؟

ففيه الوعد و الوعيد و الترغيب و الترهيب !!

فإن قلب المؤمن إذا تُلِي عليه القرآن سيرتجف خوفا من الخالق الشديد العقاب ، من ذنب قد ارتكبه في سالف عمره ، و سيظل يستغفر الله في سجوده و ركوعه ، في صحوه و نومه ، في جوف الليل و أطراف النهار ، و سيتقطع هذا القلب المؤمن حسرة و ندامة و رهبة ، و سرعان ما يتذكر أنه أيضا - جل في علاه - هو الرءوف الرحيم ، الغفور الكريم ، فتجف دمعة حزنه ، لتحول إلى أمل و رجاء المغفرة ، و يتجدد الأمل في قوله ﷻ

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (١) .

و الجن من خلق الله ، يجب الإيمان بوجودهم فهو جزء من العقيدة قال ﷻ **﴿ و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون ﴾**

و قد ورد ذكرهم في أحاديث منها ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ **((ما منكم من أحد إلا و قد وُكِّلَ به قرينه من الجن))** قالوا : و إياك يا رسول الله ! قال ﷺ **((و إياي ، إلا أن الله أعانني عليه ، فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير))** (٢) . (١)

فماذا حدث لهؤلاء الجن لما استمعوا القرآن ؟ لقد تأثروا به و آمنوا و انقادوا له فقد قال ﷻ **﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا**

---

(١) سورة الزمر آية (٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صفات المنافقين ، باب تحريش الشيطان و بعثه سراياه لفتنة الناس ١٧/١٥٥/ح ٧٠٣٩.

قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به و لن نشرك بربنا أحداً ﴾[١] .

و دلت الأحاديث النبوية أيضا على تأثر الجن بالقرآن ، فعن ابن عباس قال : انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، و قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء ، و أرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا و بين خبر السماء ، و أُرْسِلَتْ علينا الشهب قال : ما حال بينكم و بين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض و مغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ! فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض و مغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم و بين خبر السماء ؟ قال فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بِنَخْلَة و هو عامد إلى سوق عكاظ و هو يُصَلِّي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تَسَمَّعُوا له فقالوا : هذا الذي حال بينكم و بين خبر السماء .

فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ، إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ، و لن نشرك بربنا أحدا ، و أنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن[٢].

و التأثر بالقرآن و الخضوع له ، لن يقف على الإنس و الجن ، و إنما شمل الجمادات أيضا ، فلو كان هناك كتاب تسير به الجبال عن أماكنها أو تقطع به الأرض و تنشق ، أو تكلم به الموتى في قبورها ، لكان هذا القرآن لما فيه من الإعجاز و لن يستطيع أحد أن يأتي بمثله[٣] .

قال ﷻ ﴿ و لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا ﴾[٤] .

---

(١) سورة الجن آية (١ ، ٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب سورة (قل أوحي إلي ٨/٦٦٩/ح ٦٧٠ (من الفتح) .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٩٨٩ بتصرف و اختصار.

(٤) سورة الرعد من آية (٣٢).

و الجبل في غلظته و قساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيها لتصدع خوفا و خضوعا و رهبة من رب السماوات و الأرض ، قال ﷻ : **﴿لو أنزلنا هـذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشية الله﴾**[1].

فما أعظم قرآننا ، و ما أعلى قدره ، و أجل مكانته إذ خشعت له القلوب الواعيات و الجبال الراسيات .

جعلنا الله و إياكم من الخاشعين له، المقيمين لأوامره، المنتهين عن حرماته.

(١٢) القرآن الكريم هو السبيل لأمثل الطرق الموصلة للجنة :

(١) قرآننا هو النبراس المنير لطريق الجنة ، الراحة الأبدية ، بواسطة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فبها النجاة من بحر الظلمات و بها الطمأنينة والسكينة في دنيا القلق و الخوف ، فقد قال ﷻ مادحا القرآن : **﴿ إن هـذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾**[2] .

القرآن الكريم ليس هاديا لنا نحن المسلمين فقط ، و إنما لجميع أهل الأرض عربهم و عجمهم ، بعثه بالبينات ، و الفرق بين الحق و الباطل .

قال ﷻ **﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم ﴾** [3] .

فالقرآن هو طريق النجاة و السلامة و منهج الاستقامة ، و المنجي من المهالك جعلنا الله و إياكم ممن يهتدون بالقرآن و يصلون به إلى الجنة .

---

(١) سورة الحشر من آية (٢١).

(٢) الإسراء من آية (٩).

(٣) سورة المائدة (١٥ ، ١٦).

(١٣) القرآن الكريم نهر العطاء الفياض لمختلف العلوم و الفنون في كل الأعصار :

القرآن الكريم نهر عطاء لا تنضب عجائبه و أسراره على مدى الأجيال والأعصار ، فهو المستقى للعلماء في كل علم من العلوم ، فلا يمضي قرن من الزمان إلا و للعلماء اكتشاف جديد ، يواكب ما في القرآن من أسرار وعلوم ، قد نطق بها القرآن منذ أربعة عشر قرنا ، مما يزيد المؤمنين به إيمانا على إيمانهم ، و يجعل أهل الملل الأخرى يعيدون النظر في دياناتهم .

وقد بشر المصطفى ﷺ بهذا الأمر في سنته المطهرة ، ففي حديث لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع فقال.

((أنا محمد النبي الأمي – قاله ثلاث مرات – و لا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم و خواتمه و جوامعه[١] . [١] ....))

وفي رواية (مفاتيح الكلم) و المفتاح هو كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها .

مفاتيح الكلم من البلاغة و الفصاحة و بدائع الحكم و محاسن العبادات ، و هو أفصح الكتب السماوية ، و قد أخبر بأمور لا يعلمها إلا الله و وقعت كما أخبر فهو مفتاح كل خير[٢] .

و من الملاحظ على مدى تعاقب الأجيال من العلماء ، فإن كلاً منهم في تخصصه كالطب و الجيولوجيا و غيرها ، يجد في القرآن شيئاً يمس قمة ما وصل إليه من اكتشافات ، فهو دليل من أدلة إعجازه الباقية بقاء الدنيا .

فمثلا في مجال الطب ، و التفاصيل الدقيقة لبداية تكون الإنسان من النطفة و حتى نهاية العمر ، قد أذهلت الأطباء ، و كيف نطق بها القرآن بهذا التدرج والترتيب الموافق لما يحدث لدورة حياة الإنسان فقال ﷻ ﴿ **هو الذي خلقكم**

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ١١/١٧٩/ح ٦٦٦ مطولاً ، قال المحقق : إسناده ضعيف ، و له شواهد كثيرة في البخاري و مسلم تعضده.

(٢) الفتح الرباني ١٨/٤/ بتصرف.

من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً .... ﴾ [١] .

إنها طلاقة القدرة الإلهية ، سبحان الله الخالق العظيم ، منزل هذا الكتاب المعجز بكلماته ومعانيه ومعارفه، المواكب للتطور العلمي في كل عصر ومصر.

(١٤) اشتمال القرآن الكريم على الفاتحة :

و ما أدراك ما الفاتحة ؟ إنها السورة العظيمة ، أم الكتاب ، التي لم ينزل في التوراة و لا في الإنجيل و لا في الزبور و لا في القرآن مثلها !!

و للفاتحة أسماء كثيرة مما يدل على فضلها[٢] .

و الفاتحة هي أعظم سور القرآن الكريم ، فعن أبي سعيد بن المعلى[٣] . قال : كنت أصلي ، فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه ، قلت : يا رسول الله إني كنت أصلي ، قال : ((**ألم يقل الله ﴿ استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم ﴾**[٤] .

ثم قال : **ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟** فأخذ بيدي ، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول الله ، إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ، قال : **الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني و القرآن العظيم الذي أوتيته**))[٥] .

و فضائل سورة الفاتحة كثيرة سأذكر طرفا منها فقط ، على سبيل المثال منها: أن أحد المسلمين قد رَقى بها إنسانا لُدِغَ ، فبرئ من السم بفضلها[٦].

---

(١) سورة غافر من آية (٦٧).

(٢) منها (الحمد لله) و تسمى أم الكتاب ، لأنها يبدأ بها في أول القرآن ، و تعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة . و تسمى بفاتحة الكتاب و أم القرآن و الكنز و الواقية و الشافية و الكافية و سورة الصلاة و سورة الشفاء.

(٣) هو الحارث بن نفيع بن المُعَلى بن لوذان له صحبة ترجمته في : (أسد الغابة ٦/١٥١/٥٩٥٥).

(٤) سورة الأنفال من آية (٢٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن باب فضل فاتحة الكتاب ٩/٥٤/ح ٥٠٠٦ (من الفتح).

(٦) هذه القصة بطولها أخرجها البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل

و منها : أنها نور من السماء نزل به الملك هي و خواتيم سورة البقرة[١] .

و منها : أنه لم ينزل على نبي من الأنبياء قبل محمد ﷺ مثلها في الثواب[٢] .

و في فضلها أحاديث كثيرة اكتفيت منها بالأمثلة السابقة فما أعظمها من سورة !! نفعنا الله و إياكم ببركتها و أعطانا فضلها و ثوابها آمين .

(١٥) خاتمة الكتب السماوية :

ختم الله الكتب السماوية بأعظمها ، و هو القرآن الكريم ، فهو حجة على سائرها و مصدق لها و مهيمن عليها ، فقد امتاز القرآن بتلك الميزة العظيمة ، و كذلك نبينا محمد ﷺ لا نبي بعده ، و قد قال ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ قال : خرج علينا رسول الله ﷺ و على آله و صحبه يوما كالمُودِّع فقال : ((**أنا محمد النبي الأمي قاله ثلاث مرات و لا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم و خواتمه و جوامعه ٠٠٠٠**))[٣] .

(١٦) سهولة و يسر الشريعة الإسلامية التي جاء بها القرآن :

فاتحة الكتاب ٥٤/٩/ح ٥٠٠٧

و الحاكم في المستدرك ، كتاب فضائل القرآن ، رقي اللديغ بفاتحة الكتاب و شفاؤه و أخذ العوض على الرقي ٢٦٢/٢/ح ٢٠٩٨.

(١ الدليل على ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل الفاتحة و خواتيم سورة البقرة ، ٣٣٢/٦/ح ١٨٧٤ ، و الحاكم في المستدرك ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضيلة فاتحة الكتاب ٢٦٢/٢/ح ٢٠٩٦.

(٢) الدليل على ذلك ما أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ٢٤/٦/ح ٢٨٨٤ (من عارضة الأحوذي) و هو جزء من حديث طويل و قال الترمذي : حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، من مسند عبد الله بن عمرو ١٧٩/١١/ح ٦٦٠٦ (المحقق) مطولا ، و قال المحقق : إسناده ضعيف ، لضعف ابن لهيعة و له شواهد كثيرة تعضده في البخاري و مسلم و غيرهما مطولا.

النظم و القوانين التي أتى بها القرآن الكريم ، سهلة و ميسرة إذا قورنت بغيرها من الأنظمة الشرعية التي أتت بها الكتب السماوية السابقة و قد قال ﷻ :

﴿ و ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾

و الأمثلة الدالة على يسر الشريعة و جمال ما جاءت به كثيرة :

(١) فمثلا الصلاة تجب في الحضر أربعا و في السفر تقصر إلى إثنتين ، و في الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة ، و يصلي رجالاً و ركباناً مستقبلي القبلة و غير مستقبليها ، و القيام في الصلاة يسقط لعذر .

إلى غير ذلك من الرخص و التخفيفات في سائر الفرائض و الواجبات[١] .

و لهذا قال ﷺ **((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة))** [٢] .

و قد أكد القرآن سبب السهولة في قوله ﷻ **﴿ يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر ﴾**[٣] .

ثم قال تعالى مكملاً هذه السهولة و مؤكداً لها واعداً بها المسلمين من عباده الصالحين **﴿ لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلا وُسْعَها ﴾**

و قد تكرر هذا الوعد الكريم من الله اثني عشرة مرة في مواضع متفرقة من القرآن مؤكداً أنه الرحمن الرحيم ، و لولا هذا العفو و رفع التكليف عن عباده إلا فيما يطيقون ما دخل الجنة أحد ، فما أعظمك و أرحمك يا الله ، و ما أوسع حلمك بنا ، فلو بقينا ساجدين ما كتب الله لنا من بقية العمر نشكره على إنه الرحمن الرحيم ، ما وفيناه حقه ﷻ .

و قد بينت السنة النبوية يسر الشريعة الإسلامية في كثير من الأحاديث .

فأخبرنا المصطفى ﷺ أن الله تجاوز عنه و عن أمته في كثير من التكاليف

---

(١) تفسير ابن كثير ١٢٦٤/٣ بتصرف.

(٢) أورده البخاري في صحيحه معلقا و وصله في كتاب الأدب المفرد ، و وصله أحمد بن حنبل عن ابن عباس بإسناد حسن (فتح الباري ٩٣/١) .

(٣) سورة البقرة من آية ١٨٥ .

الشاقة التي كانت في الأمم السابقة مثل :

- عدم قبول التوبة من المذنب إلا إذا قتل نفسه .
- عدم طهارة الثوب المتنجس إلا بقطع ما تنجس منه .
- عدم صحة الصلاة إلا في المعابد .
- عدم الطهارة بالتيمم .

المؤاخذة بالخطأ و النسيان . و غير ذلك كثير ، فتجاوز الله للأمة المحمدية عن ذلك كله و عفا عنها و جعل دينها سهلاً سمحاً

ففي حديث رواه أحمد بن حنبل في مسنده[١] . [١]

((... و تَجوَّز لي و عوفيت و عوفيت أمتي ...))

أي تجاوز الله للأمة المحمدية عن ذلك كله ، و عفا عنها ، و جعل دينها سهلاً سمحاً .

أو أن المعنى تجاوز الله بسببي عن أمتي و عافاها من التكاليف الشاقة و عافاني أيضا[٢] .

فمن أمثلة اليسر و السهولة التي أتى بها القرآن ما جاء في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : **((رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، و إذا اشترى ، و إذا اقتضى))** [٣] .

ففي الحديث : الوعد بالرحمة الإلهية لمن كان سهلاً جواداً ذو أخلاق عالية في تعامله مع غيره .

و قال ﷺ **((إن الدين يُسْر ، و لن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا**

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، من مسند عبد الله بن عمرو ١١/١٧٩/ح ٦٦٠٦ و قال محققه : إسناده ضعيف و لمتنه شواهد في البخاري و مسلم تعضده.

(٢) الفتح الرباني ١٨/٤ بتصرف .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب السهولة و السماحة في البيع و الشراء ، و من طلب حقا فليطلبه في عفاف ٤/٢٠٦/ح ٢٠٧٦ .

و قاربوا و أبشروا ، و استعينوا بالغدوة و الروحة و شيء من الدلجة)) [١] .

فقد أرشدنا نبينا ﷺ إلى طرف النور الذي تسير عليه في ظل المنظومة الإسلامية ، و هو : الوسطية في كل مناحي الحياة من عبادات و غيرها .

ومن أمثلة يسر الشريعة أيضا قول النبي ﷺ **((خير الصداق أيسره))**[٢].

و ثبت أن النبي ﷺ أجاز نكاح على خاتم من حديد و أجاز نكاح امرأة على نعلين حيث أن المرأة ارتضت لنفسها ذلك .

فما أيسر الإسلام الذي أتى به القرآن .

(١٧) عموم رسالة الإسلام التي أتى بها القرآن الكريم :

أُرسل القرآن إلى جميع الأجيال في جميع الأعصار و الأمصار ، فقد جاء برسالة عامة إلى الناس كافة ، فلم يكن شأنه شأن الرسالات المتقدمة عليه ، فقد كان كل رسول يبعث بكتاب في قومه خاصة دون غيرهم ، أما نبينا محمد ﷺ فكتابه الذي أنزل عليه عاما لجميع الخلق من الإنس و الجن ، فقال ﷻ في كتابه العزيز ﴿ **وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَةً للناسِ بَشِيراً و نذيراً** ﴾[٣] . أي إلى جميع الخلائق من المكلفين .

وقال تعالى ﴿ **يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا** ﴾[٤] .

و قد قال ﷺ مؤكداً هذا العموم **((و كان النبي يبعث إلى قومه خاصة**

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ، و قول النبي ﷺ (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة ١/٩٣/ح ٣٩ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب النكاح ، باب فيمن تزوج و لم يسم صداقا حتى مات ٦/١٠٧ من عون المعبود ، و صححه الحاكم في مستدركه و سبل السلام ٣/٣٢١ بتصرف.

(٣) سورة سبأ (٢٨).

(٤) سورة الأعراف من آية (١٥٨).

و بعثت إلى الناس عامة)) [١] .

و هذه ميزة للقرآن الكريم ، فعمومه و عموم رسالة سيدنا محمد ﷺ لم يَحْظَ بها كتاب و لا نبي قبله .

فاللهم احفظ كتابنا و اجعله سفينة نجاتنا و صلي على سيدنا محمد بن عبد الله ، و آته المقام المحمود الذي وعدته ، إنك لا تخلف الميعاد .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب القيم ، باب (فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيبا ١/٤٣٦/ح ٣٣٥ (من الفتح)

* و مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد و مواضع الصلاة ٥/٢/ح ٣ من النووي.

الفصل الثاني

فضائل أهل القرآن و حامليه ، و يشتمل على النقاط التالية :

- أهل القرآن هم أهل الله و خاصته .
- استماع الله لأهل القرآن .
- أهل القرآن مكاسبهم مضمونة .
- تحلي أهل القرآن بخلق سيدنا محمد ﷺ .
- أهل القرآن يقربون من الأنبياء لكن لا يوحى إليهم .
- أهل القرآن يصاحبون الرسل و الملائكة .
- عموم النفع لبني الإسلام .
- أهل القرآن في أحسن حال إلى يوم القيامة .

(١) أهل القرآن هم أهل الله و خاصته :

حفظة القرآن و حاملوه و دارسوه و العاملون بـه ، هـم أوليـاء الله ﷻ المختصون به اختصاص أهل الإنسان به ، فهم يرددون كلامه بألسنتهم ، و يعوه بقلوبهم و عقولهم ، و قد بشر المصطفى ﷺ أهل القرآن و حامليه بأنهم هم أهل الله ، و ذلك فيما رواه أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ ((**إن لله أهلين من الناس**)) قالوا : يا رسول الله !! مَنْ هُمْ ؟ قال ((**هم أهل القرآن ، أهـل الله و خاصته**)) [١] .

اللهم هب لنا هذا الشرف العظيم ، و تلك المنحة المباركة ، أن نكون مـن

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب في فضل مـن تعلـم القـرآن و علمـه ، ٩٤/١/ح ٢١٥ و قال البوصيري : هذا إسناد صحيح ، رجاله موثوقون .

* و الحاكم في المستدرك كتاب فضائل القرآن ، باب قال (أهل القرآن هم أهل الله و خاصته)

* و الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن ٥٢٥/٢/ح ٣٣٢٠

* و قال صاحب المغني عن حمل الأسفار : إسناده حسن.

أهلك يا ربنا يا الله يا حنان يا منان !!

و لكن هل يُنَال هذا الشرف بالتمني و الأحلام ؟ لا و الله ، بل لابد من تشمير ساعد الجد و الإجتهاد و العزيمة على دراسة كتاب الله العظيم ، و على حفظ الكثير منه ، و كذلك دراسة السنة النبوية و تطبيقها قلبا و قالبا .

(٢) استماع الله لقارئ القرآن :

الإستماع و الإنصات يكون للشيء المحبب إلى النفس ، فقد قال ﷺ ((**ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن**)) [١] . أي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتلو القرآن و يجهر به ، و استماع الله هنا يعني : إكرامه و إجزال ثوابه ، فذلك هو ثمرة الإصغاء – فهو ﷻ منزه عن صفات المخلوقين .

و ليس هذا الإصغاء خاص بالأنبياء ، و إنما يشمل المسلمين دونهم ، فقد قال ﷺ عن فضالة بن عبيد[٢] . قال : قال رسول الله ﷺ ((**لله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القَيْنَة إلى قَيْنَتِه**)) [٣].

(٣) أهل القرآن مكاسبهم مضمونة :

التجارة مع الله مضمونة الربح ؟ بخلافها مع غيره ﷻ ، فهي معرضة للربح والخسارة ، و قد وعدنا ﷻ بذلك في كتابه العزيز بقوله :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن على سائر الكلام ٩/٦٨/ح ٥٠٢٣

* و مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٦/٣١٩/ح ٨٤٢ (من النووي).

(٢) فَضَالة بن عُبَيْد بن نافذ بن قيس صاحب رسول الله ، من كبار القراء توفي سنة ٥٣ هجرية و قيل سنة ٥٩ هجرية ترجمته في (سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٠/٢٤٥ و أسد الغابة ٤/١٨٢ و حلية الأولياء ٢/١٧).

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها ، باب في حسن الصوت بالقرآن ١/٤٣٠/ح ١٣٤٠ ، و حسن البوصيري إسناده في مصباح الزجاجة ١/١٥٨ ، و ذكره ابن حجر في فتح الباري ٩/١٩.

﴿ إن الذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سراً و علانية يرجون تجارة لن تبور (٢٩) ليوفيهم أجورهم و يزيدهم من فضله إنه غفور شكور (٣٠) ﴾

لِمَ يترك المسلم الذكي تلك التجارة المضمونة الربح ؟ و مع مَنْ ؟ مع ملك الملوك الواحد الأحد خالقنا و رازقنا ، و قد ضمن العائد المجزي المضمون ، فما علينا إلا أن نشمر عن ساعد الجد و الإجتهاد و المثابرة على تلاوة القرآن ، فإن كانت التجارة في الدنيا معرضة للكساد فهي مع الله مضمونة الربح .

(٤) تحلي أهل القرآن بخلق نبينا محمد ﷺ :

حاملوا القرآن و قارئوه لابد و أن يتحلوا بما فيه من آداب و أخلاق تسمو بهم و تليق بحالهم ، من حمل كتاب الله في صدورهم ، و إذا فعلوا ذلك كانوا متحلين بخلق نبينا محمد ﷺ و قد وصفه الله ﷻ بأنه على خلق عظيم في قوله ﷻ : ﴿ و إنك لعلى خلق عظيم ﴾[1] .

و حينما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق سيدنا محمد ﷺ قالت : كان خلقه القرآن ، و ذلك فيما رواه مسلم في صحيحه عن قتادة قال لعائشة (**يا أم المؤمنين ! أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ قالت : ألست تقرأ القرآن قلت بلى . قالت : فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن**) .

(٥) أهل القرآن كأنهم أنبياء لا يوحى إليهم :

الأنبياء هم أرفع خلق الله ، و قد اختصهم بالوحي من دون البشر و أسر به إليهم و فضلهم به على الخلق جميعا ، و نبينا محمد ﷺ قد تحلى بأرقى الصفات الخَلْقِيَّة و الخُلُقية كالكرم و الشجاعة ، و المروءة و الرحمة المثالية ، و العدالة و العفو و الحلم ، و غيرها من مؤهلات النبوة ، و كذلك باقي الأنبياء تَحَلَّو بأرقى الأخلاق . و أهل القرآن إذا قاموا بالقرآن قلبا و قالبا فقد تحلوا بهذه الصفات التي تحلى بها الأنبياء لأنهم يحملون في صدورهم كلام الله ؛ فاستمدوا

---

(١) سورة القلم آية (٤) .

طهارتهم من طهارته ، و قوتهم من قوة كلام الله ، فأصبحوا كأنهم أنبياء ، لكن الفارق بينهم و بين الأنبياء هو الوحي .

و قد بشر المصطفى ﷺ أهل القرآن ، فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يَجِدَّ مع من جَدَّ و لا يجهل مع من جَهِل و في جوفه كلام الله)) [١] .

فعلى حامل كتاب الله و قارئه أن يسمو بنفسه و روحه إلى أرقى الصفات و الأخلاق ليكون بحق كما وصفه النبي ﷺ كأنه نبي لا يوحى إليه .

(٦) أهل القرآن يصاحبون الرسل و الملائكة :

رسل الله منزلتهم عظيمة عنده ﷻ و كذلك عند البشر ممن آمنوا بهم .

و الملائكة الكرام ذلك الخلق العظيم المجبولون على طاعته سبحانه منازلهم كريمة عند الله ، هل يستطيع أحدٌ أن يكون مصاحبا لهؤلاء الذين أكرمهم الله بفضله و منّته ؟

نعم هناك من يستطيع الوصول إليهم ، و رؤيتهم ، ليس ذلك فحسب بل و يكون رفيقا لهم !! لماذا ؟ و كيف ؟

لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله و العمل به ، فقد بشر المصطفى ﷺ أهل القرآن المداومين على تلاوته ، بأنهم سيكونون مع رسل الله و ملائكته يوم القيامة

فعن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((الماهر بالقرآن مع السفر الكرام البررة ، و الذي يقرأ القرآن و يتتعتع و هو عليه شاق له أجران)) [٢] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب فضائل القرآن ، باب أخبار في فضائل القرآن جملة ٢٥٢/٢ و قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب سورة عبس ٦٩١/٨/ح ٤٩٣٧

* و مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة حافظ القرآن ٣٢٥/٦/ح ١٨٥٩

* و النسائي في فضائل القرآن ، باب المتتعتع في القرآن ص ١٠٩/ح ٧٢ .

فالحديث الكريم بشر الماهر بالقرآن بكونه مع السفرة و هم الرسل الـذين يسفرون إلى الناس برسالات الله ، أو مع الملائكة البررة المطيعون لله ، فهم في الآخرة في منزلة سيكونون بها رفقاء لهؤلاء القوم الرفيعي المنزلة .

أما الضعيف في قراءة القرآن فله أجران و هي منزلة دون منزلة من هم مع السفرة الكرام البررة ، فإذا أتقن القراءة ينتقل إلى المنزلة الأرقى مع الرسل و الملائكة .

(٧) عموم النفع لبني الإسلام :

حامل القرآن و تاليه، ينفع نفسه و يعلو قدره في الدنيا و الآخرة، ويتعدى نفعه لغيره من المسلمين، فمثلا المكان الذي يُتْلى فيه القرآن تحل عليه البركـة، وتفر منه الشياطين، و يأخذ من يسمعه الثواب، و قد ضرب المصطفى ﷺ.

مثلا لقارئ القرآن ، بأنه كالأُتْرُجّ[١] ، و هو نبات كلـه منـافع فقـال ﷺ ((مثل الذي يقرأ القرآن كالأُتْرُجَّة طعمها طيب و ريحها طيب ، و الذي لا يقرأ القرآن ، كالتَّمْرة طعمها طيب و لا ريح فيها ، و مثل الفاجر الذي يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة ، ريحها طيب و طعمها مر ، و مثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن ، كمثل الحنظلة طعمها مر و لا ريح لها[٢]))

و قد قيل : إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج ، و أكلها يشعر بلـذة لطيب نكهتها و هي تساعد المعدة على الهضم[٣] .

فقارئ القرآن يعم نفعه نفسه و غيره من المسلمين .

---

(١) ثمرةٌ كالليمون الكبار ، و لونه ذهبي رائحته ذكية ، فاكهة تجمع بين طيـب الطعـم و الرائحة يتداوى بقشرها و يستخرج من حبها دهن له منافع.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل القرآن علـى سـائر الكلام ٦٦/٩/ح ٥٠٢١ و في الكتاب نفسه ، باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فجر به ، ٩٩/٩/ح ٥٠٥٩ من الفتح .
ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة حافظ القرآن ٣٢٤/٦/ح ١٨٥٧.

(٣) فتح الباري ٦٦/٩ - ٩٩ ، و المعجم الوجيز ص ٤ بتصرف.

(٨) أهل القرآن في أحسن حال إلى يوم القيامة :

حامل القرآن في نعمة عظيمة مستديمة ، يغبطه عليها بني البشر من المسلمين فهب أن إنساناً مَنَّ الله عليه بحفظ القرآن ، و تلاوته آناء الليل و أطراف النهار ، و هو عامل بما فيه ، ما شعورك نحوه ؟!! إنك ستشعر نحوه بحب و احترام ، و تتمنى أن لو كان لك مثله ، حتى لو فديتها بنعم أخرى من أمور الدنيا .

و حفظ القرآن أو تلاوته ، هو أحد الأمرين الجديرين في الدنيا بأن يتمنى الإنسان أن يكون له مثلها كما أخبر بذلك سيدنا محمد ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن عمر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ((**لا حسد**[1] **إلا في اثنتين ؛ رجل آتاه الله الكتاب و قام به آناء الليل ، و رجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل و أطراف النهار**[2]))

فبين الحديث أن هناك فائزان في الدنيا بأعظم النعم و هما الجديران بأن يحسد الإنسان عليهما ، لفضلهما و عظمتهما ، تالي القرآن العامل به ، و المنفق ماله في الطاعات و وجوه الخير فلا فوز في الدنيا أعظم من هاذين فبشرى لهما

---

(١) الحسد قسمان حقيقي و مجازي ، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها ، و هذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة ، و أما المجازي فهو الغبطة ، و هو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها و هي المقصودة في الحديث (النووي ٦/ ٩٧ بتصرف).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١٦٤/١ .

* و في كتاب فضائل القرآن ، باب اغتباط صاحب القرآن ٧٣/٩/ح ٥٠٢٥

* و مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن و يعلمه ٣٣٨/٦/ح ١٨٩١.

الباب الثالث

فضائل القرآن الدنيوية و الأخروية

و يشتمل على فصلين

* **الفصل الأول في** : الفضائل الدنيوية لحاملي القرآن .
* **الفصل الثاني في** : الفضائل الأخروية لحاملي القرآن .

الفصل الأول

الفضائل الدنيوية لحاملي القرآن ، و يشتمل على النقاط التالية :

- فوزهم بأرقى صفات العبودية .
- حملة القرآن لهم الشرف و العلو و المكان الرفيع .
- تكريم حملة القرآن و تقديمهم حتى آخر لحظة في حياتهم .
- حملة القرآن لهم الإمامة في الصلاة .
- رفعة مكانة حامل القرآن و لو كان مولى .
- قارئ القرآن و سامعه و حاضره لهم دعوة مستجابة عند ختمه .
- قارئ القرآن المشتغل به يعطى مسألته .
- قارئ القرآن يعيش مطمئناً هادئ البال و النفس .
- حامل القرآن قلبه عامر بالإيمان .
- حامل القرآن في نعمة جديدة بالتمني .
- التَمَيُّز المطلق لحامل القرآن .

(١) فوزهم بأرقى صفات العبودية (ربانيين) :

كرم ﷻ حملة كتابه و معلميه ، و من عليهم بوصفهم بأنهم ربـــانيين ، و هي أرقى نسبة يمكن أن يتنسب بها العبد إلى خالقه فقال ﷻ ﴿ **كونوا ربـــانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون**﴾[١]. فالرباني هو العارف بـــالله ، العالي الدرجة في العلم و هو أهل للعبادة و التقوى فالرباني منسوب إليه ﷻ .

فمعنى الآية : كونوا بـ حملة كتاب الله ، سادة الناس ، و قادتهم في أمـــر دينهم و دنياهم ، ربانيين بتعليمهم كتاب الله ، و ما فيه من حلال و حـــرام و فرض و ندب ، و سائر ما حواه من أمور دينهم و تلاوتكم إياه[٢] .

(٢) حملة القرآن لهم الشرف و العلو و المكان العالي :

أهل القرآن لهم الشرف و الرفعة و الصيت في الدنيا و الآخرة ، و لنفكر قليلا ! في نظرتنا إلى من حصل على درجة علمية مثل الدكتوراه أو الأستاذية و ذلك بإستيعابه لقدر معين من العلوم الدنيوية المتغيرة من زمن للآخر مع تقـــدم العلم أليست نظرة احترام و تقدير !!

فكيف بمن يحفظ كتاب الله أو يتلوه بصفة مستمرة ؟و هو العلـــم الثابـــت الحق الذي لا يشوبه الباطل أو الهوى ، اعقد مقارنة في نظرتك إليـــه كحـــافظ لكتاب الله حاملا له بين جنبيه ، و بين إنسان عادي ؟!

(١) فرق شاسع بين النظرتين ، و قد نوه القرآن بحملته فقـــال ﷻ فـــي كتابه العزيز مخاطبا رسولنا الكـــريم ﷺ ﴿ **و إنه لذكر لك و لقومك** ﴾[٣] . أي شرف لك ولقومك .

---

(١) سورة آل عمران من آية ٧٩.

(٢) النهاية ١٨١/٢ ، لسان العرب ٣٩٩/١ ، تفسير الطبري ٣٢٣/٣ ، و تفسير ابن كثير ٣٤٢/١ ، و فتح الباري ١٦١/١ بتصرف.

(٣) الزخرف آية (٤٤).

(٣) تكريم أهل القرآن و تقديمهم حتى آخر لحظة في حياتهم :

تقديم الإنسان في أمر من الأمور ، دليل على فضله ، و رفعة منزلته لدى المُقَدَّم .

و حامل القرآن ، يقدم في المهمات ، فالقرآن يعطيه قوة و أهمية و شأنا بما يجعل مرتبته الأولى على الإطلاق ، حتى في آخر منازل الدنيا و أول مطالع الآخرة في اللحد[١] . ، أي الدفن ، فهو يُقَدَّم أيضا ، ففي غزوة أحد ، قتل عدد كبير من المسلمين ، أكثرهم من الأنصار ، و صلوا إلى السبعين ، فكان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في الثوب الواحد ، و حين دفنه ، كان ﷺ يسأل عن أيهما أكثر أخذاً للقرآن فيقدمه على غيره ، ممن هو أقل أخذاً لقرآن .

ففي صحيح البخاري[٢] . عن جابر بن عبد الله ﷺ ((أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول:أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحد قَدَّمَه في اللحد و قال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، و أمر بدفنهم بدمائهم ، و لم يُصَلِّ عليهم ، و لم يُغَسَّلوا)) .

فقدمه النبي ﷺ في اللحد و كرمه ، حتى آخر عهده بالدنيا فما أعظم القرآن الذي كان سببا في تكريم حامله إلى آخر لحظة في حياته .

(٤) حملة القرآن لهم الإمامة في الصلاة :

الإمام : هو ما يؤتم به من رئيس أو قائد ، و إمام كل شيء : قَيِّمُهُ و المصلح له و حامل القرآن هو إمام المصلين و مقدم عليهم في الوقوف أمام رب البرية ﷻ .

---

(١) اللحد : الشق الذي يعمل في جانب القبر لوضع الميت (النهاية ٢٣٦/٤ ، فتح الباري ٢١٣/٣ بتصرف).

(٢) في كتاب الجنائز ، باب من يقدم في اللحد ، ٢١٢/٣/ح ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ . و في كتاب المغازي ، باب من قتل من المسلمين يوم أحد ، ٣٧٤/٧ / ح ٤٠٧٩.

فقد أخرج مسلم[١] . بسنده عن أبي مسعود الأنصاري[٢] . قال : قال رسول الله ﷺ ((يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة .....))

فأي تعظيم للمكانة أعظم من ذلك ؟! حيث يقدم حامل القرآن و سنة رسول الله ﷺ على غيره من البشر .

في هذه العبادة العظيمة (الصلاة) التي يناجي المسلمون فيها ربهم .

(٥) رفعة مكانة حامل القرآن و لو كان مولى :

القرآن هو دستورنا الذي نتبعه ، مَنْ حَفِظَه ، فقد حوى بين جنباته الشرع و الدين شريطة العمل بما فيه .

تُرى ! هل هذا الحفظ لكتاب الله ، من الممكن أن يغير مكانة الإنسان في قانون البشر ؟!

نعم ، فقد حدث ذلك منذ العهد الأول ، عهد الرسول و الصحابة ، فعن عامر بن واثلة[٣] . أن نافع بن عبد الحارث[٤] لقي عمر بعسفان و كان عمر يستعمله على مكة ، فقال : مَنْ استعملت على أهل الوادي ؟[٥] فقال : ابن

---

(١) في صحيحه في كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب من أحق بالإمامة مطولاً

* و عبد الرزاق في مصنفه ، أبواب الإمامة ، باب القوم يجتمعون من يؤمهم ٢/٣٨٩/ح ٣٨٠٨

* و أبو عبيد في فضائل القرآن ، باب إعظام أهل القرآن و تقديمهم و إكرامهم ١/٢٧٢/ح ٧٣.

(٢) الصحابي الجليل عمرو بن ثعلبة بن أسيرة مات سنة ٣٩ أو ٤٠ هجرية (سير أعلام النبلاء ٤/١١٧/١٩٩ و تهذيب التهذيب ٧/٢٢٠).

(٣) عامر بن واثلة بن عبد الله رأى النبي مشهوراً باسمه ، و كنيته (أبو الطُفَيل) ولد عام أحد و مات سنة ١١٠ هجرية (سير النبلاء ٤/٥٣٤/٣١٩ ، تقريب التهذيب ١/٣٨٩/٦٩).

(٤) نافع بن عبد الحارث بن خالد بن عمير بن الحارث الخزاعي من كبار الصحابة و فضلائهم (تهذيب التهذيب ١٠/٣٦٣/٧٣٩٥ – التقريب ٢/٢٩٥/٢٠).

(٥) المقصود أهل مكة.

أبْزي[١] . قال : و مَنْ ابن أبْزَي ؟ قال : مولى من موالينا . قال : فاستخلفت عليهم مولى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله ﷻ ، و إنه عالم بالفرائض.

قال عمر : أما إن نبيكم قد قال ((**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ، و يضع به آخرين**))[٢] .

فنرى كيف تغير حال ابن ابزي ، المولى لنافع بن عبد الحارث ، تغير حاله من كونه تابعا و خادما لهم ، إلى كونه نائباً و ولياً لأمرهم إلى عودة نافع؟!

(٦) قارئ القرآن و سامعه و حاضره لهم دعوة مستجابة عند ختمه:

الدعاء هو الرغبة إلى الله سبحانه ، و إظهار التذلل و الافتقار إليه عز وجل فالداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه ، و ذلك حقيقة التوحيد و الإخلاص ، و قد قال ﷺ فيما رواه عنه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال :

((**الدعاء هو العبادة**)) ثم قرأ ﴿ **وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾[٣] .

و قد جاء أن للقرآن عند ختمه دعوة مستجابة .

فعن أنس بن مالك ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله و ولده فدعا لهم[٤] .

---

(١) ابن أبزي هو عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي مولى نافع بن عبد الحارث مختلف في صحبته ذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، و قال البخاري له صحبة ، و ذكره غير واحد في الصحابة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب فضل من يقوم بالقرآن و يعلمه ، و فضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها و علمها ١٨٩٤/٣٣٩/٦

* و ابن ماجه في سننه ، المقدمة ، باب في فضل من تعلم القرآن و علمه ٢١٨/٩٥/١

* و الدارمي في سننه ، المقدمة ، كتاب فضائل القرآن ، باب إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ٣٣٦٥/٥٣٦/٢.

(٣) سورة غافر آية (٦٠) .

(٤) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن أنس ٦٧٤/ح/٢٤٢/١ ، و قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٢/١ : رجاله ثقات .. و أخرجه الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب في ختم القرآن ٣٤٧٤/ح/٥٦٠/٢ .

و عن إبراهيم التّيمي[1] عن عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ﷺ قال **((من ختم القرآن فله دعوة مستجابة))** وَمَنْ من المسلمين لا تتطلع نفسه و تهفوا إلى استجابة دعائه !؟

الآن : تتحقق إن شاء الله إجابة الدعاء عند ختم هذا الكتاب العظيم ، اللهم هب لنا نعمة إجابة دعائنا ، فلا يقدر عليها إلا أنت ، و قد قلت و قولك الحق : **﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾**

(٧) قارئ القرآن المشتغل به يُعْطَى مسألته :

بشر رسولنا الحبيب ﷺ حامل القرآن ، و قارئه المشتغل به ، على لسان المولى ﷻ ، بأنه سيفوز بإعطائه سؤاله ، حتى و لو لم يسأل ، فالله عالم بالسرائر .

فعن أبي سعيد الخُدْري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ **((يقول الرب تبارك و تعالى : مَنْ شغله القرآن عن ذكري ، و مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه))**[2].

ما أعظمها من مِنَّة، و ما أكرمه من عطاء، من الكريم المنان، لقارئ القرآن، الراجي عفو الرحمن، و الفوز بالجنان، أن يعطى مطلبه دون سؤال، ولم لا ؟!

و الذي يعطيه هو خالقه ملك الملوك ، و عالم سره و نجواه ، فما أروع قرآننا و ما أعظم بركاته ، اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، و نور أبصارنا ، و جلاء همومنا آمين آمين آمين .

---

(١) إبراهيم بن يزيد الإمام الفقيه ، كان عالما عابداً كبير القدر (سير أعلام النبلاء ٥/٥٣٩/٦٣٣ – ميزان الإعتدال ١/٧٤) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب فضائل القرآن ، ٨/١٩٦/ح ٣٠٩٤ ، و قال الترمذي حسن غريب ، و ضعفه المباركفوري في تحفة الأحوذي ، و لكن للحديث شواهد ترقى به إلى الحسن ، و قد ذكره ابن حجر في فتح الباري و قال : رجاله ثقات إلا عطية العوفي ففيه ضعف.

(٨) قارئ القرآن يعيش مطمئناً هادئ البال و النفس :

الأمن و الاطمئنان و الهدوء و راحة البال ، نعم عظيمة يفتقدها بعض الناس ، تُرى ! هل لأنهم فقراء ؟! هل لأنهم فقدوا إحدى حواسهم ؟! هل لأنهم لم يتقلدوا مناصب مرموقة ؟! لا ، فالكثير من البسطاء يعيشون سعداء في أمن و أمان ، مصدقين بما جاء في كتاب الله و سنة رسول الله ﷺ من حقائق لا تقبل التشكيك تكشف لهم أمر الحياة الدنيا و زوالها و سر وجودنا فيها عبيدا للواحد القهار ، و ضمان الرزق من الله ، فهان الأمر في النفوس .

إذاً ! ما السبب الحقيقي الذي يجعل الإنسان يعيش في قلق ؟!

إنه الإعراض عن كتاب الله و سنة رسوله ﷺ فهي السلم الحقيقي الموصل إلى السعادة و الطمأنينة و الهدوء .

فقد قال ﷻ في كتابه العزيز ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً** ﴾ أي ضنكا فلا طمأنينة ، و لا أنشراح لصدره ، فهو في شقاء مسلطة علية الدنيا يركض فيها و يلهث في شقاء محروم من سعادة النفس و الروح .

و قد ذكر تعالى حال السعداء بفضل اتباع القرآن في قوله ﷻ ﴿ **إن المتقين في مقام أمين** ﴾[1] .

فقد بشر النبي ﷺ التالين لكتاب الله بالراحة و السكينة و الإطمئنان ، فقال ﷺ ((**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، و غشيتهم الرحمة و حفتهم الملائكة ، و ذكرهم الله فيمن عنده**))[2] .

---

(١) سورة الدخان آية (٥١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الذكر و الدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، و على الذكر ٢٤/١٧/ح ٦٧٩٣ من النووي

* و الترمذي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ٢١٤/٨/ح ٣١١٥ من التحفة.

فبيوت الله و الأماكن التي يجتمع فيها المسلمون على دراسة كتاب الله ، تحيط بهم الملائكة احتفاء بهم و حباً ، و تهبط عليهم السكينة و الراحة و الإطمئنان فينعمون برضا الله ، و يفوزون بذكره في الملأ الأعلى .

و به اطمئنان القلوب فقال تعالى ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ (١) .

قارئ القرآن قلبه عامر بالإيمان :

عمارة القلوب بالإيمان و قراءة القرآن ، و زينة الباطن بالإعتقادات الحقة، فعمارة القلوب و زينتها هو القرآن فقد قال ﷺ ((**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب**)) (٢) .

(١٠) حامل القرآن في نعمة جديرة بالتمني :

حامل القرآن و تاليه في نعمة عظيمة جديرة بأن يتمناها غيره ، فقد جعل القرآن دستوره و نبراسه ، يرتوي من كلماته و آياته كلما عطش ، فيصير بعدها في نعمة و سرور ، و هذه النعمة هي الجديرة بأن يتمناها كل مسلم حق كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ حيث قال : ((**لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب ، و قام به آناء الليل ، و رجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل و آناء النهار**))

(١١) التميز المطلق لحامل القرآن :

حامل كتاب الله بين جنباته ، لا غرو أن يكون هو الأفضل و المتميز على بقية الخلق بتلاوته لكتاب الله و حفظه له و جعله زاده في حله و ترحاله ، فالقرآن إذا كان في قلب بشر ، فإنه يرقى به على جميع الخلق ، فعن عثمان ﷺ

---

(١) سورة الرعد آية (٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في من قرأ حرفا ما له من الأجر ١٨٦/٨/ح ٣٠٨٠ و قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح

* و الحاكم في المستدرك ، كتاب فضائل القرآن ٢٥٥/٢/ح ٢٠٨١ و قال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و وافقه الذهبي.

عن النبي ﷺ قال : ((**خيركم من تعلم القرآن و علمه**)) [١] .

و في رواية أخرى قال ﷺ ((**إن أفضلكم من تعلم القرآن و علمه**))[٢].

ففي الحديث أطلق الخيرية و الأفضلية لمن؟ لمتعلم القرآن و معلمه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن و علمه ٩/٧٤/ح ٥٠٢٧ من الفتح .

* و الترمذي في سننه ، كتاب أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في تعليم القرآن ٨/١٧٨/ح ٣٠٧١ من التحفة .

* و الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب خياركم من تعلم القرآن و علمه ٢/٥٢٩/ح ٣٣٣٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن و علمه ٩/٧٤/ح ٥٠٢٧.

الفصل الثاني

الفضائل الأخروية لحاملي القرآن ، و يشتمل على النقاط التالية :

- إكرام القرآن لصاحبه حين ينشق عنه قبره يوم القيامة .
- تكريم صاحب القرآن في الآخرة ، و تميزه بتاج الكرامة .
- شفاعة القرآن لصاحبه في الآخرة .
- القرآن الكريم يحمي صاحبه من أن تحرقه نار الآخرة .
- الترقي في الجنة بقدر ما في القلب من آي القرآن .

(١) إكرام القرآن لصاحبه حين ينشق عنه قبره يوم القيامة :

حياة القبر ، هي أول منازل الآخرة ، فالحياة ثلاثة أنواع : الحياة الدنيا[١]. وحياة البرزخ[٢] والحياة الآخرة[٣] .

و الحياة الدنيا ، حياة عمل ، و الآخرة حياة جزاء ، و الحياة الوسط بينهما هي حياة البرزخ و هي تربص و انتظار ، و يسأل فيها الإنسان ، بواسطة الملائكة و نتيجة لجوابه ، تودع الروح البشرية في مستودع للرحمة أو للعذاب و تبقى إلى يوم يبعثون ، فيعيد الله الأرواح للأجسام ، و هنا يأتي القرآن لصاحبه مبشراً له ، فعن عبد الله بن بريدة[٤] عن أبيه[٥] عن النبي ﷺ ((**يجيء القرآن**

---

(١) و هي التي تسعد أو تشقى فيها الأرواح مع الأجساد القائمة بها و الحالة فيها.

(٢) و هي الحياة التي تنفصل فيها الأرواح عن أجسادها التي كانت تعمرها ، و تستقل فيها الروح عن الجسد بالنعيم أو العذاب.

(٣) و هي التي تعود فيها الأرواح إلى أجسادها التي كانت لها في الحياة الأولى ، و انفصلت عنها بالموت (عقيدة المؤمن ص ٣٢٩ بتصرف و اختصار).

(٤) عبد الله بن بُرَيْدَه بن الحصيب الحافظ الإمام ولد سنة ١٥ هجرية و تقه الأئمة (سير النبلاء ٥/٥٣٢/٦٢٩ – تذكرة الحفاظ ١/١٠٢).

(٥) أبوه هو بُرَيْدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج أسلم عام الهجرة ، واستعمله النبي ﷺ على صدقة قومه ، توفي سنة ٦٣ هجرية (سير النبلاء ٤/١٠١/١٨٧ – الإصابة ١/١٤٦).

يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول لصاحبه أن الذي أسهرت ليلك و أظمأت هواجرك)) و في رواية ((و إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له : هل تعرفني فيقول : ما أعرفك فيقول : أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر ، و أسهرت ليلك ، و إن كل تاجر من وراء تجارته ، و إنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه و الخلد بشماله و يوضع على رأسه تاج الوقار))[1] . فالقرآن يأتي لصاحبه يوم القيامة على هذه الهيئة من الشحوب و التعب ، ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا الذي أتعب نفسه بالسهر في الليل ، يقرأ القرآن و يقوم به .

تكريم صاحب القرآن في الآخرة و تميزه بتاج الكرامة :

القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية ، و من حفظه ، فكأنما حوى بين جنباته دين و شرع ، هو آخر الأديان و أتمها على الإطلاق ، و هذا يتطلب من المسلم جهد و مشقة عظيمة ، و إذا علم صاحب القرآن و قارئه العامل بما فيه ، أنه سيتميز في الآخرة على باقي الخلق كلهم ، و أن القرآن سينطق شاهداً له ، و أنه سيحليه بتاج عظيم أغلى و أرقى من التيجان التي تصاغ للملوك من الذهب و الجواهر ، و أن القرآن سيطلب من الله أن يرضى عن صاحبه الملازم له

فهل هناك نعمة أعظم من رضاه ﷻ ؟ لا و الله فهي أعظم النعم على الإطلاق . فعن أبي هريرة ﷺ قال ((**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حلة ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيقال : اقرأ و ارقأ و يزاد**

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ، من مسند بريدة ، ذكره صاحب الفتح الرباني ١٨/١٢/

* و أخرجه الحاكم في المستدرك مختصراً ، ٢/٢٥٨/ح ٢٠٨٧ و قال : حديث صحيح و أخره الذهبي .

* و أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن ٤/٥٤١/ح ٣٧٨١ و قال البوصيري : إسناد رجاله ثقات.

بكل آية حسنة)) [١] .

فما أعظمها منّه !! جزاءً وفاقا لصاحب القرآن ، الذي أسهر ليله في تلاوته و أتعب نهاره في دراسته ، و جعله زاده و زواده طوال حياته .

شفاعة القرآن لصاحبه في الآخرة :

الشفاعة : هي السؤال في التجاوز عن الذنوب و الجرائم في الآخرة ، بعد حساب المولى سبحانه – لعبيده و خلقه .

فكل ما يقوله الإنسان و ما يفعله مُدَوَّن في كتاب ، فقد قال ﷻ

﴿ إذْ يَتَلَقى المُتَلَقِيانِ عَن اليمينِ وَعنِ الشمالِ قَعيد ، ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيد ﴾[٢] .

يعني : أن هناك ملكان يكتبان عمل الإنسان ، مترصدَيْنِ له ، فما يتلفظ من كلمة ، إلا و لها من يرقبها ، و هو معد لذلك ، فيكتبها لا يترك كلمة و لا حركة[٣] .

و الشفاعة يوم القيامة كلها بأمر الله و بيده ، لا سلطان لأحد إلا له ﷻ قال تعالى **﴿ و ما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين . * يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً و الأمر يومئذ لله ﴾**[٤] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر ، ١٨٣/٨/ح ٣٠٧٦ من التحفة ، و قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

* و الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن جملة ، باب يلبس صاحب القرآن تاج الكرامة يوم القيامة ، و يرضى الله عن تالي القرآن ٢٥٢/٢/ح ٢٠٧٣

* و الحاكم في المستدرك ، كتاب فضائل القرآن جملة ، باب يلبس صاحب القرآن تاج الكرامة ، ٢٥٢/٢ / ح ٢٠٧٣ و صححه الحاكم.

(٢) سورة (ق) آية (١٧ ، ١٨).

(٣) تفسير ابن كثير ١٧٦٦/٤ بتصرف .

(٤) سورة الإنفطار ١٧ – ١٩ .

و الشفاعة ثابتة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة[١] . و شفاعاته كثيرة .

منها : الشفاعة العظمى في فصل القضاء .

و منها : شفاعاته ﷺ في أناس من أمته فيدخلون الجنة بغير حساب .

و منها : شفاعاته في أناس من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم فلا يدخلون النار .

و منها : شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من أمته فيخرج منها بشفاعته ﷺ فقد قال ﷺ ((**لكل نبي دعوة مستجابة ، و أريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**)) [٢] .

- و من أراد شفاعة النبي ﷺ فليسألها من الله تعالى و ليقل (**اللهم شفع فيَّ نبيك ، أو اللهم ارزقني شفاعة نبيك**) أو يارب اجعلني ممن يشفع فِيَّ نبيك ، و ليتبع سؤاله الشفاعة من الله تعالى بالعمل الموجب لها ، و المقتضي لتحقيقها[٣] .

و هناك أمور أخرى تشفع للإنسان ، منها القرآن الكريم ، كتاب الله العزيز ، الذي ينطق و يشهد لصاحبه يوم القيامة شافعاً له عند رب العالمين .

و قد قال ﷺ ((**اقرءوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً**

---

(١) عقيدة المؤمن ص ١٢٤ – ١٢٩ بتصرف و اختصار .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب لكل نبي دعوة مستجابة ، ٦٣٠٤/٩٦/١١ ، و في كتاب التوحيد ، باب في المشيئة و الإرادة ٧٤٧٤/ح٤٤٧/١٣.

(٣) موجبات الشفاعة تتلخص في أمور هي :

- الإخلاص لله في العبادة ، نفي الشرك عنه في ربوبيته و أسمائه و صفاته ، و في عبادته لحديث الصحيح (من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله فقال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه) أخرجه البخاري

كثرة الصلاح و الصلاة على النبي ﷺ و سؤاله الوسيلة له ، كما في صحيح مسلم (عقيدة المؤمن ص ١٢٤ – ١٢٩ بتصرف).

لأصحابه)) [١] .

(٤) القرآن الكريم يحمي صاحبه من أن تحرقه نار الآخرة :

القرآن الكريم هو النجاة من دار البوار ، جهنم مأوى الكافرين – أعاذنا الله و إياكم منها :

الله ﷻ هو خالق النار ، و هو القادر بطلاقة قدرته أن يبطل خاصية الإحراق فيها ، كما فعل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام فكانت برداً و سلاماً عليه .

فالذي خص سيدنا إبراهيم بهذه المعجزة ، قادر أن يعم غيرة من البشر الذين تشرفوا بحمل القرآن في صدورهم و قلوبهم ، حفظا و تلاوة و عملا بما فيه .

فقد قال النبي ﷺ في حديث له عن عقبة بن عامر[٢] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول **((لو جعل القرآن في إهاب[٣]. ثم أُلقي في النار ما احترق[٤]))**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن ، و سورة البقرة مطولاً ٦/٣٣٠/ح ١٨٧١.

(٢) عقبة بن عامر الجهني الإمام المقرئ صاحب رسول الله ﷺ و كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ولي إمرة مصر ، توفي سنة ٥٨ هجرية (سير أعلام النبلاء ٤/١٠٠/١٨٦ – الإصابة ٤١/٢٥٠.

(٣) الإهاب : الجلد قبل الدبغ أي جلد البقر و الغنم و الوحش ما لم يدبغ (النهاية مادة أهب).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ، كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن ٢/٥٢٢/ح ٣٣١٠

قال محققه : رواه أحمد في المسند ٤/١٥٥ ، و أبو يعلى و فيه ابن اهيعة و رواه البيهقي عن عصمة بن مالك و هو حديث حسن كما في صحيح الجامع ٥/٦٢

- و أبو عبيد في فضائل القرآن ، باب فضل القرآن و تعلمه و تعليمه الناس ١ / ٤٤ / ح ١٤
- و الرازي العجلي في فضائل القرآن ص ٢٩ ، ١٥٤ و قال محققه : دكتور عامر حسن صبري : إسناده حسن .
- و أبو يعلى الموصلي ٣/٢٨٤ .

و أحمد بن حنبل في مسنده ٤/١٥١/١٥٥ ، و ذكره الساعاتي في الفتح الرباني ١٨/٥/ و قال

- أي لو كان القرآن في مثل هذا الشيء الرقيق و هو الإهاب الذي لا يؤبه به ، و لا يهتم به أحد ، و يلقى في النار ما مسته ، فكيف بالمؤمن الذي هو أكرم خلق الله ، و قد وعاه في صدره ، و تفكر في معانيه ، و عمل بما فيه كيف تمسه فضلا عن أن تحرقه .

فمن تعلم القرآن ، لم تحرقه نار الآخرة ، فحافظ القرآن كالإهاب له[1]، إذن فالقلب و الجوف الذي وعى القرآن سيفوز بإنقاذه من نار جهنم .

(٥) الترقي في الجنة بقدر ما في القلب من آي القرآن :

الجنة و نعيمها غاية كل مؤمن ، تهفو النفس إليها و تشتاق ، و قد جاء القرآن و السنة بوصف الجنة تحفيزاً للمؤمنين ليبذلوا جهدهم للوصول إليها ، إن عرضها كعرض السماوات و الأرض ، و ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام ، و لها ثمانية أبواب غاية في الوسع و الكبر إلى غير ذلك من الأوصاف العظيمة[2] . [2] كالأنهار و الأشجار ، و ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين و ما لا يخطر على قلب بشر ، و كل مسلم يسمع عن نعيم الجنة و مراتبها يتمنى أن يصل إلى أعلى درجاتها و أرقاها . و هل هناك سبيل إلى ذلك ؟!

نعم هناك القرآن الكريم ، فكل آية يتلوها المسلم في الجنة ، يرتفع بها درجة ، و يرقى بها رتبة ، فبقدر تعبه و ملازمته للقرآن ، تكون رتبته في الجنة، ومرتبته عند آخر آية يقرؤها فقد قال النبي ﷺ :

((يقال لصاحب القرآن : اقرأ و ارق . و رتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)) [3] .

نقلا عن المناوي في شرح الجامع الصغير : ضعيف لكنه يتقوى بتعدد طرقه ، فقد رواه أيضا ابن حبان عن سهل بن سعد و رواه البغوي في شرح السنة و غيره.

(١) الفتح الرباني ٥/١٨ و النهاية ٨٣/١ بتصرف .

(٢) أوصاف الجنة في كتاب عقيدة المؤمن ص ٢٨٤ - ٣٠٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في من قرأ حرفا

و قد جاء في الأثر : إن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة في الآخـــرة . فيقال للقارئ ارق في الدرج ، على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن ، فمن اســتوفى قراءة جميع القرآن ، فاز بأعلى درجات الجنة في الآخرة ، و من قرأ جزأ منه كان رقية في الدرج على قدر ذلك ، فيكون منتهى الثواب ، عند منتهى القراءة[1] .

ما له من الأجر ، ٨/ ١٨٦ – ١٨٧ / ح ٣٠٨١ و قال : هذا حديث حسن صحيح.

(١) تحفة الأحوذي ٨/١٨٦ و الفتح الرباني ١٨/٨/ بتصرف.

الفصل الثالث

أثر و فضل تعليم الأبناء القرآن، و يشتمل على النقاط التالية:

- أثر و فضل تعليم القرآن للأبناء في الدنيا .
- سعادة الآباء بصلاح الأبناء و سعادتهم .
- أثر و فضل تعليم القرآن للأبناء في الآخرة .

أثر و فضل تعليم القرآن للأبناء في الدنيا .

الدنيا : اسم لهذه الحياة التي نعيشها ، نزرع فيها الأعمال ، لنحصد ثمارها في الآخرة ، فمن زرع أعمالاً صالحة ، سيجني ثمارها هنية سعيدة ، و من زرع الشر و السيئات ، سيحصد العذاب و الهوان ، و دار البوار – أعاذنا الله و إياكم منها – و من الأعمال الصالحة التي يمكن للإنسان أن يجني بسببها السعادة و جنة الخلد ، هم الأبناء .

فهم عملنا الطيب في الدنيا ، و الباقي لنا بعد رحيلنا عنها ، قال ﷺ : **((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له))** [1] .

و لكن كيف ينشأ الولد صالحا ؟؟!

قد أثبتت تجارب الحياة ، أن الولد لن ينشأ هاديا مهديا إلا إذا تربى على مائدة القرآن و السنة ، و عرف ما أحلته الشريعة و ما حرمته ، و أيقن أن نجاته و فوزه هي باتباع القرآن و السنة فهما سفينة نجاته و سعادته و وصوله إلى بر الأمان في الآخرة ، و أن اتباع القرآن هو الهداية الحقيقية .

قال تعالى ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل و لا يشقى** ﴾[2] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١١/٨٧/ح ٤١٩٩.

(٢) سورة طه آية (١٢٣).

أي فلا يضل في الدنيا و لا يشقى في الآخرة .

و كذلك مدارسة السنة النبوية و معرفة ما بها من تفاصيل و دقائق جاء القرآن مجملا فيها .

و من أهم الآثار الرائعة الناتجة عن تعليم الأبناء القرآن هو بر الآباء ، فكم دعت سورَهُ و آياته إلى بر الوالدين و الإحسان إليهما .

و من ذلك قوله ﷻ ﴿ **و قَضَى رَبُّكَ ألاَّ تَعْبُدُو إلا إيّاهُ وَ بالْوَالِدَيْنِ إحساناً إما يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهما أَوْ كِلاهُمافَلا تَقُل لَهُما أُفٍ و لا تَنْهرْهُما وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيما** ﴾[1] .

أترى هذا النداء الرائع ، و الأمر الواجب من الله ﷻ إلى المسلمين المتبعين كتابه ، فقد وصى بعبادته وحده ، ثم قرن بها بر الوالدين ، بالإحسان إليهما ، فلا تسمعهما قولاً سيئاً حتى و لا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيء .

ثم انظر إلى الكلمات المعجزات القرآنيات في قوله تعالى ﴿ **واخْفض لَهُما جناحَ الذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وقُلْ رَبِ ارْحَمْهُما كَما رَبَياني صَغيراً** ﴾[2] .

أي و تواضع لهما منتهى التواضع ، و ادع لهما بالرحمة كما رحماك صغيراً وربياك و تحملا التعب و المشقة ، و آثراك على أنفسهما ، فسبحان من أودع غريزة الرحمة و الحب في قلوب الوالدين لتحمل مشقة تربية الأولاد و هم في منتهى ضعفهم حتى يشتد عودهم ، و إذ به ﷻ من فوق سبع سماوات يقرر حق الوالدين في المعاملة الحسنة و الرفق لدرجة الذل لهما ، بعد تأدية رسالتهم و وهن القوة في الكبر ، و تتضح الصورة جلية في مجتمعات الغرب حيث لا يجد كبار السن من يرقق قلوب أبنائهم ، و يحثهم على البر بهم ، فيكون مصيرهم دور رعاية المسنين يستقرون فيها يعانون الوحدة و الجحود حتى الموت

و قال تعالى ﴿ **و إذْ أخذ الله ميثاق بني إسرائيل لا تَعْبُدون إلا الله و**

---

(١) سورة الإسراء آية (٢٣).

(٢) سورة الإسراء آية (٢٤).

بالوالدين إحسانا ﴾[1] ، فأعلى الحقوق و أعظمها ، هو حق الله ﷻ أن يعبد وحدة لا شريك له ، ثم حق الوالدين .

و قال ﷻ ﴿ و وَصَّيْنا الإنسان بوالديه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنا على وهنٍ وَفصالهُ في عامين أنْ اشكرْ لي وَ لوالديْك إلَيّ المصير ﴾ ، فسوى بين الأبوين في الوصاية ، و خص الأم بالأمور الثلاثة و وصى بالدعاء لهما .

فقال تعالى ﴿ و قل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾

و قال تعالى ﴿ و بالوالدين إحسانا ﴾[2] . أي وصى و أمرنا بالإحسان إليهما و عدم الإساءة و الإخلاص و مراقبة الله و حسن طاعته ، فهو سبحانه أعلم بسريرة الإنسان ، و أعلم بمن يخلص في إحسانه إليهما ، و من يطعهما رياءً .

فمن أين للأبناء معرفة حقوق آبائهم إذا لم يقرأوا القرآن ؟! بل و كيف لا يلتزمون بتلك الآداب ، و قد عظمها الله ﷻ و أقرها في قرآن يتلى إلى يوم الدين و آزرت السنة النبوية القرآن في ذلك ، فعن عبد الله بن مسعود قال : سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله عز و جل ؟ قال : **الصلاة على وقتها** .قال : ثم أي ؟ **قال : ثم بر الوالدين** . قال : ثم أي ؟ **قال : الجهاد في سبيل الله** . قال : حدثني بهن ؛ و لو استزدته لزادني[3] فكان بر الوالدين أحب الأعمال إلى الله بعد الصلاة التي هي عماد الدين .

و قد وضحت السنة المطهرة أحقية الوالدين بالبر أيضا ، و قدمت بر الأم على الأب تأكيداً لحقها ، حيث تحملت من التعب و المشقة أكثر مما تحمله الأب،

---

(١) سورة البقرة من آية (٨٣).

(٢) سورة الأنعام من آية (١٥١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب البر و الصلة ، ١٠/٤٠٠/ح ٥٩٧٠.

فكان نصيبها من البر معدما .

و من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه[١] . عن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **ثم أبوك**)[٢] .

و قد حث القرآن على الإنفاق على الوالدين ، فهو أحد وجوه البر ، إذا احتاجا إلى ذلك عند كبرهما فقال ﷻ **﴿ يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين و الأقربين و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و ما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾**[٣] .

فقد بينت الآية أن خير ما ينفقه الإنسان ، هو ما ينفقه على الوالدين و الأقارب و اليتامى و المساكين و ابن السبيل ، و هي سبل للإنفاق لو حرصنا عليها لتحقق مبدأ التكافل الإجتماعي و الترابط و المحبة بين فئات المجتمع

---

(١) في كتاب الأدب ، باب أحق الناس بحسن الصحبة ١٠/٤٠١/ح ٥٩٧١.

(٢) بر الوالدين و أيهما أحق به ، اختلف العلماء في هذه القضية ، فقال القرطبي : أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر ، و ذهب الجمهور إلى أن الأم تفضل في البر على الأب ، و قيل : يكون برهما سواء . و على كل فبر كل منهما مطلب شرعي ، و الأحاديث في بر الأم كثيرة و تخصيصها زيادة عن الأب (فتح الباري ١٠/٤٠١ بتصرف) و من أدلة بر الأب ، ما أخرجه الحاكم في مستدركه ٥/٢١٠ / ح ٧٣٣١ و صححه و وافقه الذهبي عن رسول الله ﷺ أنه قال : رضا الرب في رضا الوالد ، و سخط الرب في سخط الوالد . و مما هو جدير بالذكر : أن حق الزوج على زوجته مقدم على كل الحقوق فمن ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه ، كتاب البر و الصلة ٥/٢٤٤/ح ٧٤١٨ و صححه الحاكم و وافقه الذهبي ، و ذكره ابن حجر في الفتح ١٠/٤٠١ ما روته عائشة قالت : قلت : يا رسول الله من أعظم الناس حقا على المرأة ؟ قال : زوجها ، قلت : من أعظم الناس حقا على الرجل ؟ قال : أمه).

(٣) سورة البقرة آية (٢١٥).

الإسلامي خاصة و أنه ﷺ قد أخبر أنه عليم مطلع على السر و العلن ليطمئن كل مجتهد أن عمله لن يضيع هباء بل سيلقى جزاء من رب كريم رحيم في الدنيا و الآخرة بإذن الله .

و قد وعد الله المنفذين لتعاليمه من بر و رحمة و إنفاق بجائزة عظيمة في الدنيا ، و هي رضا والديه و بر أولاده عند كبره ، و في الآخرة الثواب العظيم.

إن نظرة متأملة للتفكك الأسرى في مجتمعات الغرب ، و جحود الأبناء مع والديهم ، و مصير الوالدين بعد ذلك في دور العجزة و كبار السن ، يتجرعون مرارة هجر و جحود الأبناء ، يتذكرون عطاءهم لأبنائهم وقت ضعفهم و نكران الأبناء لهم بعد قوتهم ، لوجب علينا السجود شكراً لله على تلك الوصايا الثمينة للأبناء في كتابه العزيز و سنة رسول الرحمة محمد بن عبد الله ﷺ ، فتلك الوصايا تضمن لنا حياة كريمة حين تنحسر عنا القوة و الشباب ، و تكفل لنا الحفاظ على خيوط البر و الرحمة التي تنسج من جيل إلى آخر ليسعد بها الوالدين حين ضعفهم و يكونون في أمس الحاجة لتلك الرعاية و دفء المشاعر .

فمن أين للأبناء أن يتربوا هذه التربية الراقية سوى في مدرسة القرآن و السنة ، وأين للوالدين أن يحظو بتلك العناية إن لم يدخلوا أبناءهم تلك المدرسة فهو زرع ثم حصاد .

و مما تهتز له القلوب أن مدرسة القرآن و السنة علمت الأبناء الوفاء لوالديهم حتى بعد رحيلهم ، و ذلك عن طريق الدعاء لهم حيث يكون الإنسان في أمس الحاجة له في قبره ، فالدعاء من الأعمال التي لا ينقطع ثوابها و تتبع الإنسان بعد انقضاء عمره ، كما أخبرنا الحبيب المصطفى ﷺ في سنته الشريفة .

و قال تعالى ﴿ **ربنا اغفر لي و لوالدي و للمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾[1].

و قال تعالى ﴿ **و قال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون**

---

(١) سورة ابراهيم آية (٤١).

عن عبادي سيدخلون جهنم داخرين ﴾[1]

فأنّى للأبناء معرفة وجوب الدعاء للوالدين ، إذا لم يشربوا من نهر الأدب الراقي في القرآن و السنة ؟!

و من الملاحظ أن من فتن زماننا ، تباهي بعض الأسر بإدراج أبنائهم في مدارس لغات أجنبية ، و هو في حد ذاته ليس بالعمل السيء ، و لكن المشكلة ؛ هي تقصير تلك الأسر في استكمال التعليم الديني الذي يربط الطفل بالأسس التي تركها لنا المصطفى ﷺ - كتاب الله و السنة - ، بل قد يصل الأمر أن يفتخر الوالدان بعدم معرفة أولادهم النطق باللغة العربية - لغة القرآن - !!

ثم يأتي وقت الحصاد عند تقدم عمر الوالدين ، فلا يجدون في غرسهم هذا الخير العظيم ، و تلك الوصايا الثمينة التي حواها منهج الله العالم بعباده !!

ثم تأتي الشكوى و المرارة و طلب العلاج لجحود الأبناء و هم لا يدركون أن هذا هو حصاد ما زرعوه في شبابهم !!

فمن زرع حصد ، و من ابتعد عن دستور الخالق المبدع - المتمثل في القرآن و السنة _ فلا يلومن إلا نفسة .

و قد آزرت السنة القرآن في بر الوالدين ، و الأقارب بصفة عامة بالترغيب تارة ، و بالترهيب أخرى مبينة جزاء من أحسن وَبَّر رحمه ، و موضحة عقاب من عق و أساء إليهم ، و من هذه الأحاديث : - ما روي عن عائشة ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ ((**نمتُ فرأيتني في الجنة فسمعت صوت قارئ يقرأ ، فقلت : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان ، فقال رسول الله** ﷺ : كذلك البر و كان أبر الناس بأمه)) [2] .

فرغبت السنة في بر الوالدين ، حيث أن البر كان سببا في دخول حارثة

---

(١) سورة غافر آية (٦٠).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ، كتاب البر و الصلة ، باب إن الله تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب ، ٥/٢٠٩/ح ٧٣٢٩ و صححه الحاكم ، و ابن حجر في الإصابة.

الجنة ، و قد ذكر ﷺ سبب دخوله الجنة ؛ بأنه كان أبر الناس بأمه .

و رهبت السنة من عقوق الوالدين ، و عدته من الكبائر فعن أبي بكرة[١] .

[١] قال : قال رسول الله ﷺ ((**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال : **ثلاثاً : الإشراك بالله ، و عقوق الوالدين** ، و كان متكئاً فجلس فقال : **ألا و قول الزور ، و شهادة الزور ، و شهادة الزور** فما زال يقولها حتى قلت : لا يسكت)) [٢] .

وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ

((**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه** .قيل : يا رسول الله ، و كيف يلعن الرجل والدية ؟ قال : **يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، و يسب أمه ، فيسب أمه**)) [٣] .

و في حديث ثالث : عد عقوق الوالدين من المحرمات ، فعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال : ((**إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات و منعا و هات**[٤] . **و وأد البنات ، و كره لكم قيل و قال : و كثرة السؤال**[٥] ، **و**

---

(١) أبو بكرة هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي ، صحابي مشهور بكنيته ، أسلم بالطائف ، ثم نزل البصرة و مات بها سنة ٥٢ هجرية (تقريب التهذيب).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر ، ١٠/٤٠٥/ح٥٩٧٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب لا يسب الرجل والدته ، ١٠/٨٤٠٣/ح ٥٩٧٣ و الحديث دليل على عظم حق الأبوين ، و فيه العمل بالغالب لأن الذي يسب أبا الرجل يجوز أن يسب الآخر أباه ، و يجوز أن لا يفعل ، لكن الغالب أن يجيبه بنحو قوله.

(٤) منعا و هات يعني : منع ما أمر بإعطائه ، و طلب ما لا يستحق أخذه ، أو النهي عن السؤال مطلقاً (فتح الباري ١٠/٤٠٦).

(٥) كثرة السؤال عن أخبار الناس ، أو كثرة سؤال إنسان بعينه عن تفاصيل حاله ، فإن ذلك مما يكره المسئول غالبا (فتح الباري ١٠/٤٠٧ بتصرف).

إضاعة المال))

فالمحرم : هو ما لا يحل انتهاكه ، و عقوق الوالدين لا يحل لصدور ما يتأذى به الوالد من ولده ، من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد ، فالحديث دليل على أنه لا يحل فعل مثل هذه الأمور التي يتأذى منها الوالدان ، و في حديث رابع جعل بر الوالدين في مقام قتال العدو ، و مقدم عليه شرعاً .

فعن عبد الله بن عمرو قال : ((قال رجل للنبي ﷺ أجاهد قال : **لك أبوان** ؟ قال : نعم . قال : **ففيهما فجاهد**))[١] .

و قد رغبت السنة في صلة الرحم بصفة عامة فجعلتها سبب لدخول الجنة فعن أبي أيوب الأنصاري[٢] . ﷺ أن رجلا قال ((يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، فقال القوم : ماله ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ **أرب ماله**[٣] . ، **فقال النبي ﷺ تعبد الله و لا تشرك به شيئاً و تقيم الصلاة ، و تؤتي الزكاة و تصل الرحم))**[٤] .

و حببت السنة أيضا في صلة الرحم بأن جعلتها سبب في بسط الرزق و البركة في العمر ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ((**من**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين ١٠/٤٠٣/ح ٥٩٧٢.

(٢) أبو أيوب الأنصاري النجاري السيد الكبير الذي خصه النبي ﷺ بالنزول عليه في بني النجار إلى أن بني حجرة أم المؤمنين سودة و اسمه خالد بن زيد بن كليب قدم مصر في سنة ٤٦ هجرية و مات سنة ٥٢ هجرية و دفن بالقسطنطينية (سير النبلاء ٤/٥٨/١٧٩ الإصابة ١/٤٠٥/٢١٦٣).

(٣) أرب ماله ، اختلف في معناها فقيل أنها كلمة تذكر في معرض التعجب و قيل أي ذو خيرة و علم و قيل غير ذلك (النهاية ١/٣٥) بتصرف و اختصار.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب فضل صلة الرحم ، ١٠/٤١٤/ح ٩٨٣ من الفتح.

سره أن يبسط له في رزقه ، و أن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)) [١] .

و في رواية ((أن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر)) و في رواية ((صلة الرحم و حسن الجوار و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان في الأعمار)) و في رواية ((و يدفع ميته السوء)) [٢] .

و لسائل أن يقول : كيف أن صلة الرحم تزيد في العمر ، و قد قال تعالى ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون ﴾[٣] .

و للإجابة نقول أولاً : أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة ، فهي سبب للتوفيق و الصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل ، فكأنه لم يمت .

ثانيا : قد تكون الزيادة على حقيقتها ، و ذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر ، و أما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله كأن يقول للملك مثلاً : إنّ عمْرَ فلان مائة مثلا إن وصل رَحِمَهُ ، و ستون إن قطعَها و قد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم و لا يتأخر ، و الذي علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة و النقص .

و الوجه الأول رجحه العلماء ، و هو أن صلة الرحم ينتج عنها الذكر الحسن بعد فقد الواصل ، أي أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعا .

و قيل : هو أن يكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده[٤] .

و قد رغبت السنة في صلة الرحم أيضا ، بأن جعلت الواصل رحمه ، يكون ذو صلة بالله ﷻ فيجزل له العطاء و الإحسان و يفوز بوصل الله له .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من بسط له الرزق بصلة الرحم ١٠/٤١٥/ح ٥٩٨٥.

(٢) الروايات كلها واردة في فتح الباري ١٠/٤١٥ بأسانيد صحيحه و حسنة.

(٣) سورة الأعراف آية (٣٤).

(٤) فتح الباري ١٠/٤١٥ - ٤١٦ بتصرف و اختصار.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك و أقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب . قال : فهو لك**)) [١] .

فالحديث الشريف بشر الواصلين للأرحام ، بأن لهم أعظم الجزاء ، و هو الوصال و القرب من الله ، و قد أنزلها بمنزلة من استجار به فأجاره ، فأدخله في حمايته و جار الله غير مخذول .

و قد رغبت السنة أيضا في صلة الرحم بتعظيم أمرها ، بأن الرحم اشتق اسمها من اسم الرحمن ، و هو من أسماء الله .

فعن السيدة عائشة ﷺا زوج النبي ﷺ قال : ((**الرحم شجنه ، فمن وصلها وصلته ، و من قطعها قطعته**))

أي أن صلة الرحم متداخلة متشابكة معه ﷻ فمن وصل رحمه الله و كرمه ، و من قطعها قطعه الله و نال حرمان إحسانه ﷻ .

و تبين السنة النبوية حقيقة الواصل ، و أنه ليس فقط بأن تزور من زارك، أو تتصل بمن اتصل بك ، فهذه تسمى المكافأة أما حقيقة الوصل فقد جاء عنه ﷺ أنه قال : ((**ليس الواصل بالمكافئ و لكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**)) [٢] .

فالواصل هو الذي إذا مُنِعَ أعْطى ، فهو من يتفضل على صاحبه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من وصل وصله الله ١٠/ ٤١٧/ح ٥٩٨٧.

(٢) وصل الرحم ثلاث درجات : مواصل و مكافئ و قاطع ، فأرقاها و هو الذي أتت الشريعة بتفضيله و وصل الله له ؛ هو الواصل و هو الذي يَتَفَضَّل بالصلة أولاً دائما و غالبا ، و المكافئ : الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ ، و القاطع الذي يُتَفَضَّل عليه و لا يَتَفَضَّل (فتح الباري ١٠/٤٢٤ بتصرف و اختصار).

فهذه بعض الأخلاق و الآداب الإسلامية السامية التي أتت بهـا شـريعتنا الغراء من خلال القرآن و السنة ، و لا يسعنا المجال الآن لإحصائها ، و لكنني ضربت أمثلة منها لتوضيح و بيان صورة الإبن الذي يتربى على مائدة القرآن و يرتوي من السنة . فأنىّ للإبن أن يعرف ما عليه من واجبات تجاه والديه إذا لم يستنشق عبير تعاليم الدين الإسلامي !!

فالقرآن و السنة فيهما النجاة ، فيهما السعادة ، فيهما الاطمئنان و الأمـان في الدارين

سعادة الآباء بصلاح الأبناء و سعادتهم :

أبناؤنا هم أحبابنا ، فلذات أكبادنا ، زينتنا في حياتنا الدنيا ، جَبَلَنا الله على حُبِّهم حباً يفوق حبنا لأنفسنا ، نتمنى لهم الراحة و السعادة ، و نبذل في سـبيل ذلك قصارى جهدنا ، بنفس راضية مُحبَّة معطاءة ، دون كلل أو ملل .

ننظر إليهم ، فتهفوا أنفسنا شوقا و حباً متمنين دوام هذه النظـرة ، نسـعد بسعادتهم ، و نتألم إذا أصابهم مكروه أو أذى .

و قد نتساءل كيف السبيل إلى سعادة أبنائنا ؟

هل بشراء الملابس التي تروق لهم ، و المتمشية مع العصر الحديث ؟

أم بإطعامهم ألذ الطعام و أشهاه ؟

أم أن ذلك يكون بتحقيق جميع رغباتهم و مطالبهم ، سـواء كانـت فـي مقدورنا أو لا نقدر عليها ؟

كل هذه الأمور إذا حققناها لأبنائنا ، فلن نحقق لهم السعادة الدائمة ، و إنما هي سعادة وقتية تنتهي بانتهاء تحقيق الشيء المرغوب فيه .

و قد يكون سببا في تدليلهم المؤدي إلى تعاستهم ، فكيـف السـبيل إلـى إسعادهم إذن بالسعادة الأبدية الشاملة للدنيا و الآخرة ؟

كيف نجعلهم يعيشون حياتهم بأمان و اطمئنان و رضا كامل بما قدره الله لهم من رزق في النفس و المال و الولد و الأهل ؟

فإنني أقول مؤكدة ذلك الأمر ، بعد تجارب كثيرة ، و مقارنات بين من يحفظون القرآن و يتلونه ، و بين غيرهم من الأبناء الذين لا يحفظون من القرآن شيئاً و لا يتلونه .

بون شاسع بين هؤلاء و أولئك ، في الأخلاق و الالتزام ، في النفس الداخلية و ما تنطوي عليه من صفات .

فالابن الذي يتربى على مائدة القرآن الكريم و السنة النبوية ، و يرتوي من نهرهما العذب منذ نعومة أظفاره تجده مهديا بفضل آيات الكتاب العزيز ، محفوظا من الأشرار و من خلطاء السوء ، كيف لا و هو يحمل بين جنباته كلمات الكتاب العزيز ؟!

أما الابن الآخر الذي لا يحفظ من القرآن شيئاً ، و لا يتلوه ، تجده ضالا عن الطريق السوي ، و مصاحبا لأناس بعيدين عن الدين و الخلق الكريم ، و سيكون لهم الأثر الغير مرغوب فيه على أخلاقه و حياته ، و بالتالي يكون سببا في حزن ذويه ، و خاصة والديه فهذان في الدنيا هما الرحماء .

فلكي نحقق السعادة لأنفسنا و لأبنائنا إذا علينا بتربيتهم منذ صغرهم على آيات الكتاب العزيز ، و دراسة السنة الشريفة و ما بها من أخلاق نبوية ، ترقى بالنفس إلى أسمى الصفات المستقاة من مشكاة الوحي الإلهي ، و علينا أيضا بذل الغالي و النفيس من أجل الوصول إلى هذه الغاية النبيلة ؛ و هو جعلهم أوعية للقرآن و السنة يحفظون القرآن و يعملون بما فيه من أوامر ، و ينتهون عما به من نواه ، و تعليمهم أن القرآن هو دستور المسلمين ، و هو القول الفصل ، و النور المبين ، و الذكر الحكيم ، و أن خير المسلمين من تعلم القرآن و علمه ، و أن القرآن هو المعلم الأول .

فمن آيات القرآن الكريم نتعلم { توحيد رب العالمين الرحمن الرحيم و الحلال و الحرام ، و الآداب الرفيعة و الأخلاق القويمة ، و أخبار الأمم السابقة و ما بها من دروس و عبر ، و أبواب الخيرات ، و ما يحبه الله فنعمله و على

ما يبغضه فنبتعد عنه ، و فيه إجابات شافية لكل أسئلة محيرة للكثير من مشاكل حياتنا ، و فيه إعجازات علمية تبهر العلماء كل في مجاله } .

و هكذا من آيات القرآن نتعرف على ما لم نكن نعرف ، و نتعلم ما لم نكن نعلم[١]، و نعرف أبناءنا فضائل حاملي القرآن ، ليكون ذلك حافزاً لهم على حفظه و تعلمه ، و أن المنزلة العالية الرفيعة في الجنة تكون بحفظ سوره و آياته ، فالماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة .

و قد أمرتنا شريعتنا الغراء برحمة أبنائنا ، بالتعطف عليهم و رقة القلب معهم ، و رحمة ضعفهم و المغفرة لهم .

فعن أبي هريرة ﷺ قال ((**أبصر الأقرع بن حابس** [٢] . **النبي ﷺ و هو يقبل الحسن . و قال ابن أبي عُمَرَ الحسن أو الحسين ، فقال : إن لي من الولد عشرة ما قبلت أحداً منهم ، فقال رسول الله ﷺ إنه من لا يرحم لا يرحم**)) [٣] .

و قد بشر النبي ﷺ بأن من قام بحق أبنائه حق القيام ، فإن له الجنة ، و خاصة البنات لضعفهن و عدم قدرتهن على القيام بمصالح أنفسهن بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن و جزالة الرأي ، و إمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال .

فعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ((**لا يكون لأحدكم ثلاث**

---

(١) فن تربية البنات في الاسلام ص ١٠٢ بتصرف.

(٢) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد المجاشعي أحد المؤلفة قلوبهم ، قدم على رسول الله بعد فتح مكة و كان شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة و حنيناً و الطائف (الاستيعاب ١/١٩٣/٦٩ – الثقات ٣/١٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب البر و الصلة ، باب ما جاء في رحمة الولد ٦/٣٣/ح ١٩٧٦ من التحفة و قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن ، إلا دخل الجنة)) [١] .

(١) و عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ **((من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن ، كن له حجابا من النار))** [٢] .

فكيف يكون الإحسان إلى الأبناء إلا بالتربية الصحيحة على القرآن و السنة المحمدية، و يكون جزاؤهما أن يكن وقاية و حائلاً من نار جهنم .

عن النبي ﷺ أنه قال **((ليس منا من لم يرحم صغيرنا و لم يعرف شرف كبيرنا))** [٣]، فلنرحم أبناءنا إذاً كما وصتنا الشريعة الإسلامية ، و في رأيي أن أكبر رحمة بأبنائنا ، هي تربيتهم و تأديبهم بالأدب الإسلامي الناتج من تحفيظهم و تعليمهم القرآن و السنة .

فإن الأبناء إذا تعلموا القرآن الكريم ، و حفظوه أو أجزاءً منه ، و تعلموا كل ما به من أحكام شرعية و إذا عرفوا كل ما جاءت به السنة ، فسينشأون أبناءً صالحين ، يعرفون ما لهم من حقوق و ما عليهم من واجبات تجاه أنفسهم ، و تجاه آبائهم و أمهاتهم و إخوانهم ، و ستقر أعين الوالدين بهم ، فيفرحون بهم و يكونون لهم عزاً و فخراً في الدنيا و رحمة و حجابا لهم من نار يوم القيامة ، جعلنا الله من الحافظين للقرآن ، التالين له و المستمعين إلى من قرأه ، و المتدبرين له ، المتذكرين به ، و من الآمرين العاملين بما فيه ، المنتهين عما نهى عنه ، المتمتعين ببركته في الدنيا و الآخرة .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب البر و الصلة ، باب ما جاء في رحمة الولد ٣٦/٦/ح ١٩٨٠.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في النفقات على البنات و الأخوات ، ٣٥/٦/ح ١٩٧٩ و قال هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب البر و الصلة ، باب ما جاء في رحمة الصبيان ٤١/٦/ح ١٩٨٥ و قال الترمذي حسن صحيح (بشواهد).

أثر و فضل تعليم القرآن و تحفيظه للأبناء في الآخرة :

الحياة الآخرة هي التي يلقى الإنسان فيها جزاء عمله ، الذي قام به في الحياة الدنيا ، من خير أو شر ، و صلاح و فساد ، و كل ذلك مترتب على صحة العقيدة؛ هل هي العقيدة السليمة الصحيحة المتمثلة في المنظومة الإسلامية.

التي جاء بها القرآن ، و نزل بها جبريل عليه السلام على سيدنا محمد ﷺ ؟

إن كانت هي ، فيمكن بعد ذلك قبول أعماله بفضل الله سبحانه ، و يكون مآله إلى الجنة كما قال تعالى واعداً عباده الطائعين المتقين

﴿ وَ سِيقَ الَّذين اتَّقَوا رَبَّهُمْ إِلى الجَنَّة زُمَراً حَتّى إِذَا جَاءُوها و فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قَال لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُم طِبْتُم فَادْخُلُوهَا خَالدين (٧٣) وَ قَالُوا الحَمْدُ لله الَّذي صَدَقَنا وَعْدَه وَ أَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوأ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلين (٧٤) ﴾ [1].

فكل ما يعمله الإنسان في دنياه ، يجد حصاده و ثمرته في أخراه ، و من أعمال الإنسان المكلف برعايتها في الدنيا هم الأبناء ، فلذات الأكباد ، و زينة الحياة الدنيا ، هبة الرحمن و منته على عباده ، و عمله الصالح الباقي بعد موته ، و انتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء من دار العمل إلى دار الحساب .

فقد قال ﷺ ((**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**)) [2] .

فعمل الإنسان ينقطع بموته ، و ينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها .

---

(١) سورة الزمر آية ٧٣ – ٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٨٧/١١/ح ٤١٩٩

و الترمذي في كتاب الأحكام ، باب في الوقف.

فإن الولد من كسبه ، و كذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف و كذلك الصدقة، الجارية و هي الوقف[١] .

فالأولاد الصالحون ، ينفعون آباءهم في الدنيا ، ببرهم و عونهم ، و فيما بعد موتهم بالدعاء لهم و الصدقة عليهم ، و لن يقف نفع الأولاد الصالحين عند ذلك ، بل يشمل نفعهم للآباء في الآخرة أيضا ، و لكن كيف يربي الآباءُ الأبناء و يكونوا صالحين ؟

لن يكونوا صالحين إلا إذا تربوا على مائدة القرآن الكريم ، و تغذوا بآياته ، و شربوا سوره منذ نعومة أظفارهم ، فارتووا بأحكامه فعملوا بما فيه ، فليبذل الآباء جهدهم لتعليم أبنائهم القرآن ، و تحفيظهم سوره و آياته ، لينالوا الأجر و الثواب في الدنيا ، و يتحلوا بالتاج العظيم ، تاج الوقار الذي ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، و يزينون بالحلة التي لا تدانيها حلة في الدنيا . فيميزون بها عن باقي الخلق . فقد قال ﷺ **((من قرأ القرآن و عمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا))**[٢] .

و في رواية أخرى قال ﷺ **((من قرأ القرآن و تعلمه و عمل به أُلْبِسَ يوم القيامة تاجا من نور ضوءه مثل ضوء الشمس، و يكسي والديه حلتان لا تقوم بهما الدنيا ، فيقولان بما كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن))**[٣] .

---

(١) النووي على مسلم ٨٨/١١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب فضائل القرآن ، باب من قرأ القرآن و عمل بما فيه ألبس والده يوم القيامة تاجا ضوءه أحسن من ضوء الشمس ٢٧٧/٢ - ٢٧٨/ ح ٢١٣١ و قال صحيح الإسناد و لم يخرجاه .

* و أخرجه أحمد بن حنبل (المحقق) ٢٢٩٥٠/٤١/٣٨ و قال المحقق حسن في المتابعات و الشواهد (مطولا).

(٣ أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب فضائل القرآن ، باب من قرأ القرآن و تعلمه و

فما أعظم و أجمل و أجزل جزاء الآباء الذين يعتنون و يهتمون بتحفيظ أبنائهم القرآن ، و تعليمهم إياه ، و تربيتهم على أوامره و نواهيه ، فيكون جزاءهم التزين بالتاج الذي ضوءه أحسن من ضوء شمس النهار ، و يزينان بالحلة التي لم يُر مثل جمالها و زينتها .

فما أروع هذا الأثر و الجزاء، اللهم اجعلنا وذريتنا من أهل القرآن ، وممن يكون لهم نصيب في هذا التاج المضيء و الحلة التي لم يُرَ مثل بهائها آمين.

و على الآباء الذين يتشوقون إلى التاج المضيء و الحلة التي تقوم لها الدنيا ؛ أن يهتموا بالوسائل التي توصلهم إلى الغاية ، فالوصول للغاية المرجوة ، و الثمرة اليانعة ، لن يكون بالتمني و الآمال و الأحلام ، و لكن ببذل كل ما يستطيعه من جهد و مال و تعب و إرشاد و اهتمام ، و كذلك إلحاقهم بالدور التي يُهْتَمُّ فيها بتدريس القرآن الكريم ، و إيتائهم بشيخ ينظم لهم حفظ القرآن ، و مراجعة ما استقدم حفظه حتى لا يُنْسى ، فالقرآن سريع النسيان و التفلت .

إذا لم يُحافظ على مراجعته بصفة مستمرة و من الوسائل لتحفيظ – الأبناء القرآن – الجوائز و المكافآت حسب ما يتسنى ، و حسب طبيعة الابن و ما يحبه و ما يفضله و لا ضير في ذلك ، ((**إنما أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**)) و لنا في السلف الصالح أسوة حسنة .

قال إبراهيم بن أدهم[1] . قال لي أبي: يا بني اطلب الحديث ، فكلما سمعت حديثا و حفظته فلك درهم ، فطلبت الحديث على هذا .

و صار إبراهيم بن أدهم بعد ذلك من العلماء المحدثين الذين لهم شأن في

عمل به ألبس يوم القيامة تاجا من نور ضوءه مثل ضوء الشمس و يكسي والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا ، ٢/٢٧٨/ح ٢١٣٢ و قال صحيح الإسناد و لم يخرجاه

(١) إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر القدوة الإمام العارف سيد الزُهَّاد، صاحب الدعوة، ثقة مأمون، أحد الزهاد، و كان من الأشراف و كان أبوه كثير المال و الخدم ولد سنة ١٠٠ هجرية و توفي ١٦٢ هجرية (سير أعلام النبلاء ٧/٢٩٤ – العبر الذهبي ١/٢٣٨).

العلم و أهله

و يذكر الخطيب البغدادي – رحمه الله – أن عاصم الواسطي ، قال لابنه خذ مائة ألف ، و اذهب فلا أرى وجهك إلا بمائة ألف حديث ، و بالفعل اجتهد ابنه علي[1] . [1] في الحفظ حتى صار من الحفاظ القلائل في زمانه ، فالمكافآت و الجوائز تشجع الأبناء على حفظ القرآن ، لا سيما في السن الصغيرة التي لا يدركون فيها إلا الجوائز العينية الملموسة ؛ و بعد أن تنضج عقولهم سيعرفون قيمة هذا الكنز الذي يحملونه في صدورهم ، من آيات القرآن الكريم و سوره، فيحمدون الله و يدعون لآبائهم و أمهاتهم الذين كانوا سببا في حملهم لهذا الكنز العظيم ، كنز في الدنيا ، و كنز في الآخرة.

فيحميهم في الدنيا من المضلات و الفتن بإتباع أوامره و اجتناب نواهيه ، و في الآخرة بالترقي به لأعلى درجات الجنة.

---

(١) علي بن عاصم بن صهيب الو اسطي ، الإمام العالم ، شيخ المحدثين ، مُسنِد العراق ، من أهل الدين و الصلاح ، و الخير البارع ، شديد التوقي ولد سنة ١٠٩ هجرية و توفي سنة ٢٠١ هجرية (سير أعلام النبلاء ١٥٧/٨ – ميزان الاعتدال ١٣٥/٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر لي – بفضله و إحسانه و توفيقه – إتمام هذا البحث ، الذي بذلت فيه قصارى جهدي خدمة لشريعتنا الغراء المتمثلة في قرآننا و سنتنا ، و الصلاة و السلام على أصل كل خير ، محمد بن عبد الله ﷺ هادينا و مرشدنا إلى سواء السبيل .

و بعد : فهذه جملة من النتائج التي توصل إليها البحث أضعها بين يدي القارئ ، لعل الله أن ينفع بها و يجعلها في ميزان حسناتي يوم الدين ، و تلك بعض نتائج البحث التي توصلت إليها :

- أن القرآن الكريم هو مفتاح سعادة الدارين ، و هو دستور الخالق لإصلاح الخلق .
- القرآن هو المعجزة العظمى الباقية المتجددة على مر العصور و الأجيال و إلى قيام الساعة .
- أن حفظ القرآن و تعاهده و العمل بما فيه ، هو سفينة النجاة ، و لا نجاة بدونه .
- أن القرآن الكريم له أسماء كثيرة تزيد على الخمسين اسما ، و كثرة أسمائه تدل على عظم شرفه و فضله .
- أن حقوق القرآن علينا كثيرة منها: توقيره و تبجيله ، و تعاهده و المواظبة على قراءته حتى لا ينسى فيجب علينا عدم هجره ، و تدبر آياته و الانصات له ، و تحسين الصوت به ، و التزام آدابه.
- أن حفظ القرآن كله ليس فرضا واجباً على كل مكلف ، و لكن علينا محاولة الوصول إلى ذلك و بذل قصارى الجهد للوصول إلى هذه الغاية فهي أسمى الغايات .
- أن نسيان القرآن وارد لكل فرد ، و إذا حصل فعلينا اتباع علاج ذل

الأمر بالتضرع إلى الله بالدعاء ، ثم الدوام على التلاوة و المذاكرة له ، و أضف إلى ذلك ترك الذنوب و المعاصي حتى نستطيع الحصول على النور القرآني ، و تنظيم التلاوة لكل يوم جزء معين و تدبر آياته و التفكر فيها و محاولة فهمها .

- أن القرآن الكريم هو أعظم الكتب السماوية على الإطلاق ، لما يمتاز به عنها.
- أن حامل القرآن الكريم له مميزات على جميع الخلق دونه ، ممن لا يحفظون القرآن الكريم منها :
- أنه من أهل الله المقربون إليه ، و أن الله ينصت لقارئ القرآن ، كما أن حافظي القرآن يضمنون مكسبه ، و هم كالأنبياء لكن لا يوحى إليهم و سيكونون في صحبة الرسل و الملائكة يوم القيامة ، كما أنهم يظلون في أحسن حال سواء في الدنيا أو الآخرة .
- و حاملوا القرآن يفوزون بأرقى صفات العبودية و الشرف و العلو و المكان العالي ، و لهم التكريم في حياتهم حتى آخر لحظة في حياتهم ، ثم يستمر لهم ذلك التكريم في الآخرة ، و عند ختم القرآن يفوزون بأستجابة دعواتهم، و يعطون مسألتهم، و قلبهم دائما عامر بالإيمان ، مملوء بالطمأنينة و السكينة و الرضا .
- كما أن صاحب القرآن يتميز في الآخرة على جميع الخلق بارتدائه تاج الكرامة ، كما أنه يحمي حامله من أن تحرقه نار الآخرة .
- و لأن القرآن سفينة النجاة ، فلابد من أن نجعل أبناءنا فلذات أكبادنا، أوعية للقرآن الكريم ، فهو طريقهم إلى السعادة و الراحة ، فهم عملنا الصالح الباقي بعد رحيلنا ، و أن طريقنا للحصول على السعادة ببر أبنائنا لنا ، هو تعليمهم كتاب الله ، فهو سعادتهم و سعادتنا ، و هو عصمتهم من الزلل ، و لا بد من سلوك كل سبيل للوصول إلى هذه الغاية السامية مهما كلفنا ذلك ، فثمرته أعظم بكثير من تكلفته

- و تبين من البحث أيضا أن القرآن الكريم هو معجزة سيدنا محمد ﷺ الباقية الملموسة و الشاهدة على صدقه إلى يوم القيامة .
- أن إعجاز القرآن الكريم باق و متجدد بتجدد العصور و الأيام .
- مناسبة القرآن الكريم لكل عصر و مصر .
- أن القرآن شفاء للأبدان و القلوب و الأرواح .
- أن القرآن الكريم يحصن صاحبه من الأمراض و الشرور و الأذى.
- أن القرآن حفظ للإنسان من العين و لا وقاية للعين إلا بالقرآن الكريم.
- القرآن الكريم وقاية من السحر .
- القرآن الكريم هو المرشد الأول للمحافظة على الصحة العامة و الوقاية من الأمراض .
- القرآن الكريم فيه أصل لكل جديد يكتشف بواسطة الأبحاث العلمية المتطورة .

و ختاما : أسأل المولى سبحانه و تعالى أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، و أن يكون حافزاً إلى دراسة و حفظ كتاب الله و سنة رسوله ﷺ حيث النجاة بهما في الدنيا و الآخرة و ادعوه جل شأنه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم و أن يجعل عملنا فيما يرضيه ، و يرضي به عنا .

المدينة المنورة

١٤٢٦/٥/٢٢ هجرية

المؤلفة

أهم المراجع في البحث

(١) القرآن الكريم .

(٢) الإتقان في علوم القرآن للشيخ أبو الفضل جلال الدين عبد الـرحمن أبي بكر السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الثالثة ١٤١٥ هجرية – ١٩٩٥ ميلادية .

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير الجزري ، طبعـة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦ هجريـة – ١٩٩٦ ميلادية .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لإبن حجر العسقلاني – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(٥) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية – صَيْدا – بيروت .

(٦) تحفة الحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(٧) تذكرة الحفاظ للإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان .

(٨) تفسير القرآن العظيم لإبن كثير الدمشقي – دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ١٤٢٢ هجرية ٢٠٠٢ ميلادية .

(٩) تقريب التهذيب لإبن حجر العسقلاني دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٣٩٥ هجرية – ١٩٧٥ ميلادية .

(١٠) تهذيب التهذيب لإبن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥ هجرية – ١٩٩٤ ميلادية.

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان و هو تفسير الطبري .

(١٢) الجامع الصحيح للترمذي دار الكتب العلمية بيروت لبنان

سنن ابن ماجة و معه تعليقات مصباح الزجاجة ، دار المعرفة – بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هجرية – ١٩٩٨ ميلادية .

(١٣) سنن الدارمي للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقدي دار الكتاب العربي – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هجرية – ١٩٨٧ ميلادية .

(١٤) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي طبعة دار الفكر للطباعة و النشر الطبعة الأولى ١٤١٧ هجرية – ١٩٩٧ ميلادية .

(١٥) صحيح مسلم بشرح النووي دار المعرفة بيروت – لبنان ١٤١٦ هجرية – ١٩٩٥ ميلادية .

(١٦) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد البصري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤١٠ هجرية – ١٩٩٠ ميلادية .

(١٧) عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائري – دار الكتب السلفية القاهرة ١٤٠٥ هجرية – ١٩٨٥ ميلادية .

(١٨) عون المعبود و شرح سنن أبي داود للعلامة محمد شمس الحق مع شرح ابن القيم الجوزية – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(١٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لإبن حجر العسقلاني دار المعرفة بيروت – لبنان .

(٢٠) فضائل القرآن للإمام النسائي تحقيق الدكتور فاروق حمادة دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الثانية ١٩٩٢ – ١٤١٣

(٢١) فضائل القرآن و معالمه و آدابه لأبي عبيد القاسم بن سلام دراسة و تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخياطي ١٤١٥ هجرية – ١٩٩٥ ميلادية .

(٢٢) فضائل القرآن و تلاوته و خصائص تلاوته و حملته تأليف الإمام الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي (٣٧١-٤٥٤ هجرية) تحقيق و تخريج الدكتور عامر حسن صبري دار البشائر الإسلامية –

بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هجرية - ١٩٩٤ ميلادية .

(٢٣) فن تربية البنات في الإسلام ، تأليف مجدي فتحي السيد ، المكتبة التوفيقية . أمام الباب الأخضر سيدنا الحسين .

(٢٤) القرآن أنواره و آثاره و أوصافه لمحمد محمود الصواف - مؤسسة الرسالة - بيروت - شارع سوريا بناية حمدي و صالحه الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هجرية - ١٩٨٤ ميلادية .

(٢٥) كتاب الهدى و البيان في أسماء القرآن لفضيلة الشيخ صالح بن ابراهيم البليهي رحمه الله ١٣٣١ - ١٤١٠ هجرية .

(٢٦) لسان العرب لإبن منظور - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٠ هجرية - ١٩٩٠ م

(٢٧) مستدرك الحاكم على الصحيحين للحاكم النيسابوري دار المعرفة بيروت - لبنان .

(٢٨) مصباح الزجاجة في زوائد ابم ماجة - رضي الله عنه بتحقيق و تعليق محمد المنتقي الكشناوي دار العربية للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٢ هجرية ١٩٨٣ م

(٢٩) المصنف لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .

(٣٠) المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني إحياء التراث العربي .

(٣١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - مطبعة بريل في مدينة ليون ١٩٦٩ م

(٣٢) موسوعة فضائل سور و آيات القرآن(القسم الصحيح للشيخ محمد بن رزق بن طرهوني) الناشر مكتبة العلم بجدة .

(٣٣) النهاية في غريب الحديث و الأثر لإبن الأثير الجزري - دار الفكر

للطباعة و النشر و التوزيع .

(٣٤) الهدي و البيان في أسماء القرآن لفضيلة الشيخ صالح بن إبـراهيم البليهي صالح بن ابراهيم البليهي رحمه الله (١٣٣١ – ١٤١٠ هجرية الطبعـة الثانية ١٤١٨ هجرية .

(٣٥) الوقاية الصحية على ضوء الكتاب و السنة لولوة بنت صـالح بـن حسين آل على – دار ابن الجوزي للنشر و التوزيع – المملكة العربية السعودية الطبعة الثانية ١٤٢٣ هجرية .